

شعر

الدكتور / صابر عبد الدايم

الغلاف والرسوم الداخلية
للفنـان : حشمت البنـا

الإهـــــــداء

إلى زينب

صوت الواقع الصادق

وإلى تيسير

صوت النبوءة الواعد

وإلى كل الأصوات العائدة من مدن الحلم

المسافرة فى سنبلات الزمن

« صابر عبد الدايم »

الهوية

اسمي : صابر

عمري : سنوات الصبار جهلت بدايتها

أو حتى كيف تسافر

بلدي : مصر — القرية — والموال الساخر

والمهنة : شاعر

وهواياتي : فك الأحجية وهدم الأسوار

والبحث عن الخصب المتوارى خلف الأمطار

والتنقيب بصحراء النفس عن الآبار

وقراءة ما خلف الأعين من أسرار

يوليو ١٩٧٢ م

المسافر فى سنبلات الزمن

كنت وحدى والتواريخ وأمشاج الليالى
فى ظلام الرحم الكونى تنمو وتشكل
كنت وحدى وبعرش الله آفاق تظلل
واندلاع السر من جوفى كان الصرخة الاولى لطفل العنفوان
كان فى البدء ولا زال ترويه الدماء
طالما أسقيه ذاتى وأنا سر البقاء
راحلا عنه لألقاه وأحيى فى بواديه النماء
وتفتحت بعينيه زهوراً ونبوءات
... وأمطاراً وجنات إباء
أغرقت كل الجبال الشم خيلى
وامطاها المؤمنون
رفرفت أجنحة الخيل على وجهى ...
... ففاضت ثوره الطوفان ...
... هبت نسمة الله وغاض الجاحدون

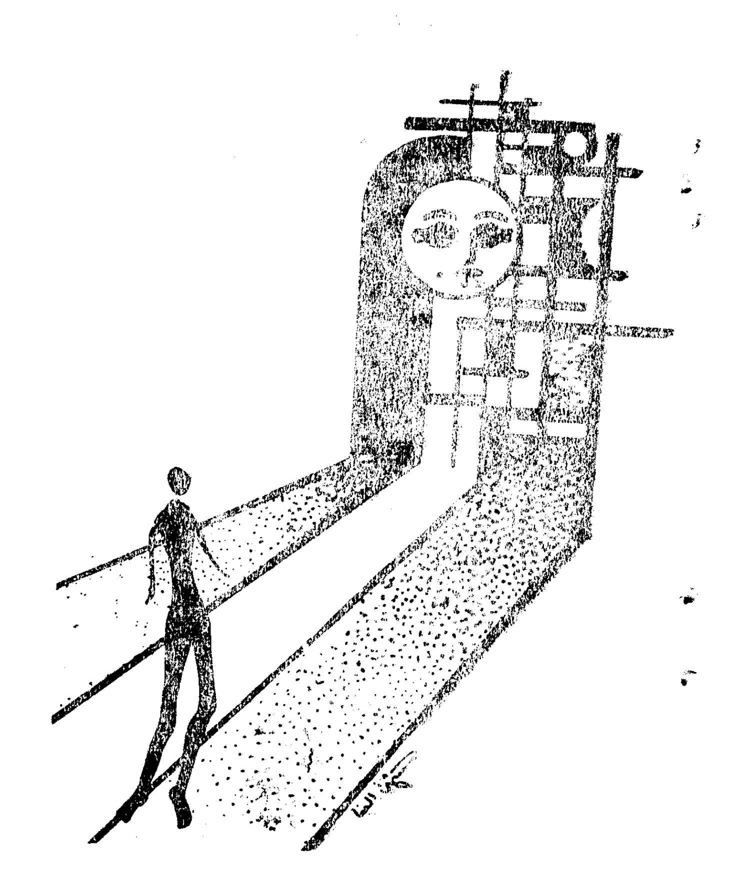
كنت صدر الأم للطفل السجين
طالما هدهدته وهو يغناه ...
... بعيداً عن أناشيد الحنين
كنت كرسي الطفولة
وأنا جسر الرجولة
وأنا المعبر والقبر وكنز العارفين
وأدت خيلي غرور المعتدين
أغرقت كل المرايا والخيالات المهينة
وصفت للنغم الصاعد من عمق السنين
طائراً بالحوت من جب الأماني المستكينة
فإذا الحوت ينابيع خلاص وحقيقة
والتسابيح أمانيه الطليقة
هكذا كنت ...
... وما زلت سحابا وحدائق
صاعداً في سنبلات الزمن الناخر أصلاب التكاثر
هابطاً تحت الجذور الساليات الأرض أحلام البراءه
راحلا في الصخر تحدوني الجساره

ملقياً فى قبضة النيران ذاتى
فإذا النيران فى ذاتى اشتهاء ووضاءة
ناصباً عرس السماوات بقاع البحر فى خصب المواسم
بانياً كل الحضارات التى فوق ضلوعى
شيدت كبرى الملاحم
ماحياً للظل أرواحاً نديات المعالم
ساقياً قلب البراكين بثورات المناجم
فاتحاً كل المدائن
مغرقاً فى مد آفاق خيال الشعراء
واهباً فجر النبوات الضياء
عائداً

واللزاق المكنون فى خطوى برق وانتشاء
والمجاديف تشق الصدر منى
وأنا أعلو وأعلو فوق سنى
لا ينال الزمن القاتل منى
فهو بعضى وأنا الكل الذى يغفل عنى
كلما جدت، بدن ولدت لى ألف دن

والمغارات تناجيني وخيلي لم تغني
ورؤى قلبي لجداني تغني
في وجودي إلا أمني
كل ما ألقاه يجني الخير مني
وأنا أسقيه ذاتي
وهو يسقيني التمني

١٩٨١/٨/٦



إيقاع الزمن القادم

صوتك ينشلني من قاع الجب
يحملني فوق جواد الريح (لواق الواق)
يسقيني صوت الحق السارى فوق جناح الرؤيا
يرفض أن تتشرنق فى أفراح اللقيا ...
... أصداء الكذب السائل من ثوبى المصبوغ
... بزيف دماء الذئب

يفتح كل خزائن هذا العالم بين يدى
يكشف ما خلف رؤاى من الآفاق
يزرع ظلك فى تربة قلبى ...
.. فتلحق كل الأكوان بجفنى
يجعل ليل رؤاى حدائق ضوء أنصع من فلق الصبح
يأتينى من خلف الجدران فيؤنس وحشة روحى
وأنا فى سجن يقينى وعفافى وإبائى وجموحى،
أنعم بالقيد الحر ، وأرفض تاجاً ينسجه الشيطان
أن أمشى فوق السيف وأقطع بالسكين يدى

أهون عندى
من كرسى كالحربه مغروس فى صدر الإنسان
وأتانى صوتك فى خطو القادم يستفتينى ...
... فى سر البقرات السبع
يعلن أنى بعد الإفتاء طليق!!!
هل تبتلع البيداء الفيضان ؟
هل تشرب ماء البحر الشطآن ؟
هل تغتال طفولة أفراح العمر الأحزان ؟
هل تأكلنا سنوات الجدب ...
... وتسرق من أعيننا الألوان ؟

هذا صوتك يغمرنى ... يستر عمرى العريان
يأبى أن أخرج من ذاتى عرافا تحميه نبوءاته
أن أحمل للسلطان بشارات العهد الآتى
وتبشرنى إن شذبت أوامره إنذاراته
تقذفنى — إن كنت صدوقا — فى الحب ...
... كالبرق الغارب فى موج الآفاق
يأبى صوتك أن أفلت من قيدى

وأظل أجدف فى أغلال الإثم سجينا
كل موانى العالم تطردنى
ونبوءاتى للسلطان — إذا كذبت — تتقاذفنى
وغدوت ببادية السجن طليقاً
أضغاث السلطان تلاحقنى
وأنا جددت رؤى من قذفونى خارج دائرة البدره
وأتانى صوتك من عين « زليخاء »
ببكارته لون درب حياتى
فغدوت بقلب القصر طهور الخطوات
أفتح للدنيا جنات خزائن حبى
أسقى المفترقات رحيق الوحدة من قلبى
وأجمع كل الأبعاد بشمى
ورأيت نداوة صوتك فى بحة صوت الضعفاء
(تالله لقـد آثرك الله علينـا)
(تالله لقـد آثرك الله علينـا)
وتلاشت كل الأصوات القائمة من الساحة

لم يبق سوى صوتك ...
... ينشلنى من قاع الجب
يسقينى صوت الحق السارى فوق جناح الرؤيا
يجتاح سدود الغيب
يفتح كل خزائن هذا العالم بين يدى
يزرع ظلك فى تربة قلبى ...
... فتحلق كل الأكوان بجفنى

أول يناير ١٩٨٢

إشرافات

من سفر التكوين والنبوءة

غامت فى عينى موسى الرؤيا
وتلاشى لون الأشياء
حمل سكون على كفيه وسار فى التيه
الريح تمزق كل الأصوات
تصطك الأشواق وتختنق الآهات
تبتلع البيداء مقاومة النهر المتدفق
... فى أعماق الصخر وفى يبس الأصداء
النار تمد شراع رجاء
موسى فى قلب الظلمة يعدو
فالنار — الوعد — نجاة وسماء
كانت فى البدء ولا زالت فى القلب ...
... تصد وتحرق كل الأقذاء
والنار تنادى

(اخلع نعليك)
إنك فى أقدس وادى
وافتح عينيك
وأشهد فى أعماق حضرة أعوادى
يتلاشى موسى فى الكل ويرحل فى عين الأشياء
هذى يده السوداء
فى لحظة عشق خارج دائرة الزمن المحدود
صارت من غير أذى بيضاء !!!
وعصاه الصماء ... البكماء
تتلوى ... تتمدد ... تبتلع غرور الطين ...
... وفرعون بجذع النخلة يصلب كل الشرفاء !!!
قالوا : (لن نؤثرك على ما جاء)
وقصوا فى قلب النار ...
... وموسى يقطف من عين الشمس الأسرار
لكن لم تنبت فى كفيه الأقمار
وعصاه تشق البحر وتجهل لغة الإبحار !!!
لم تدرك أين الحوت الهارب من ذعر الأضواء ...
... إلى أمن الظلمة فى القاع

موسى مسجون فى قلب فضاء
الريح تحاصره وتحاوره الأنواء
خمدت فى عينيه النار وجف الإيقاع
والدنيا أضيق من ثقب الإبره
وعصاه الأفعى والمعبر
تحتضر بعينيها الفكرة
وعلى قمة يأس مغشوشية بالأسرار
تتوهج زهرة نار
يقترب على وجل فيرى وجها يقرأ : باسم الله
شيخ لا يملك من دنياه ...
... سوى قلب متسع الملكوت !!!
عيناه مسافرتان
ويداه مقفرتان
لكنهما مفعمتان
بعطاء تخطر فى ظل حدائقه الأكوان
موسى يغدو بذرة شوق ...
... فى حقل الفقراء المفعم بالصدق الأخضر

ويناجى الشيخ الأسمر

أريد أن أعلم

كنه الذى يجرى

يا ليتنى أفهم

ماذا حوى صدرى !!

يا شيخ عرفنى

حديقة السر

لا تبتعد عنى

يا نبعى الثر

— زود نفسك للرحلة ... أحكم سفنك فالبحر عميق

* ما الزاد ؟ وأين ؟ وكيف ؟

— النهر الراكد لا يعرف مجراه ولا أين يصب

جدد ذاتك — واعرف كيف يقود خطاك إلى الحق الرب

أخلع عينيك لتبصر ما خلف الأسوار

مزق جلدك ...

... واسبح فيما لا تدركه الأبصار

فى زمن العشق ستخضر بعينيك بوادى الأسرار

ـــ لا أدرك أبعاد الزاد …

… ولا منعطفات طريق المغمور بغيم التذكار

ـــ جرب

واستشهد آلاف المرات

فعسى أن تدرك ما اشتقت إليه كثيرا

وأرقت العمر …

… على الدرب المفروش بنار رؤاه طويلا

يناير ١٩٧٩

قافلة الغرباء

أحمل فى شريانى الحب أجىء إليك على استحياء
يا من أشرقت علينا بشريعتك الغراء
أدعوك فأنت سقيت كيانى معنى البوح وسر الإفضاء
لا أجزيك الأجر بمدح فالمدح لمن يقبله إعلاء
أدعوك فهل أنت مجيب للقلب دعاء
ألهمنى سر الوجد فأنت بأرض العشاق سماء
وأراك أتيت إلى العالم فى قافلة الغرباء
ولأنك أدركت الجوهر فى عمق الأشياء
وتساقيت رحيق الحق من العلياء
صارت خطواتك فوق الأرض ضياء
صارت كلماتك آفاقاً للشرفاء
[illegible] بك تفتح للفقراء
والعالم سيق إليها زمرا زمراً تغمره الآلاء
لم توصد أبوابك إلا فى وجه الشعراء
الشعر العربى انتحر على أبواب الأمراء

والشعراء تراموا بنبال الحرف العمياء
واقتتلوا فى ساحات الـكلمات الجوفاء
« يلقون السمع وأكثرهم ، مداح هجاء !!!
وتهاووا ... كل مغروس فى عينيه سهام رياء
وعلى الأرض قوافيهم برزت كالأحشاء
ما وهبت للعالم كل بحورهم قطرة ماء
وسفائنهم فى الزيف تهدف فالدينار هو الميناء
« ما يأتيهم من ذكر من ربهم ، وضاء
« إلا استمعوه وهم ، والصخر سواء
وجواد الشعر يسابق ظل الريح بقلب البيداء
لـكن يـكبو ويخر غريقاً فى كأس الندماء
تشرب من دمه الأسماع فتغدوا أحجارا صماء
وتحدق فى أطلال بقاياه الاعين وهى حروف بـكاء
فالشاعر تصنعه فى عالمنا رغبات الخلفاء
والشاعر إذ يصدق تقتله كلمات السفهاء
والشاعر إذ يشرق تخنقه ظلمات الجهلاء
والشاعر إذ يسبح تبلعه حيتان البلهاء

والشاعر إذ يتمرد يسجن فى قاقية الجبناء

* * *

والشاعر عندك يا من جئت بملتك السمحاء
حطاب يحمل فأساً فى الصحراء
يجرى فيها الأنهار وينسج للعريان كساء
والشاعر سلطان
يحمل فوق الظهر إلى الأطفال غذاء
سيف مسلول فى وجه الأقذاء
قلب بأذان الحق خفوق
يورق بالأمل الوضاء
لا يحرقه الجمر الملقى فوق الأنداء !
والشاعر صديق
ينزع سيف الردة من ظل الأعداء
يحمل ملك المتنبى فى طوفان الريح هباء
ويطارد جيش مسيلمة الكذاب بكل الأجواء
من فوهة الموت يجىء يشيد ملحمة الشهداء

ويقيم من الجثث العابرة زمان الوهم جسور بقاء
يصرع جبل الباطل يجعله سفحاً من أشلاء
يمسخ شيطان النقمة يجعله بعض دماء
والشاعر كون مفتوح
ينبت في خضرته البسطاء
الشاعر ظل نبي ...
هل يفهم هذا الشعراء ؟
هل يفهم هذا الشعر ؟

غرة ربيع الأول ١٤٠٣ هـ
الزقازيق ١٦/١٢/١٩٨٢ م

أسماء: الثورة والعطاء والتحدى

وفتحت ملف التاريخ المنسى ...
... فألفيت الصديق وصاحبه يلتقيان
مكة تهرب من وجه الله وتطرد أضواء الإيمان
وتحاول صد رياح الحق النبيل بالصدق ...
الساحق زيف الطغيان فتغلق كل الأبواب
وتحاول إطفاء الشمس فتلقى الراحة فوق العينين
تشعل أسماء النار
رائحة اللحم المشوى ستكشف سر الضوءين
... المرتحلين ... المختفيين بقلب الدار
وأبو جهل يرقص فى عينيه الشيطان ويبغى الثار
ماذا تفعل أسماء ؟
فلتحرق زيت المصباح وتطفىء كل الأنباء
وعلى وجنة أسماء
تهوى كف « أبى جهل » كالصخرة رعناء صماء

قتيل دماء
وترى وشم مجد ووفاء

* * *

أسماء الثورة ذات نطاقين
فنطاق شدته على الزاد المحمول إلى القمرين المنفيين
في صدرهما الأمس المرفوض
واليوم الرحلة والصحراء متاهات وسدود
والمستقبل فوق السيف أمامهما يتحدى الموت على الأعتاب
والآخر أحكم قربتها الراحلة على كاهلها الغض لأنقى الأحباب
للظمآنين المرتويين بفيض الحب وتيار الحق الوثاب
وخطاها فوق الأرض نجوم تغمر كل الآفاق الغائمة ...
... بأنباء الضوء الغازى المنبثق من الصحراء
وبعينيها السمراوين تمرد — رفض — حب ... وفداء
والقلب الثائر ومض يرصد مأساة جنون الأعداء
ويطير إلى يثرب بالحلم الأخضر والزمن المعطاء
ويسر إليها

ويردد قلب الزمن المؤار بأحلام الفقراء

في نور ... يغلي بركان الثورة

من نور ... تتفجر أنهار الثورة

وعلى نور يلقى الأفق بذار الحق لتحرق أعداء الثورة

وإلى نور

تركض خيل الحب لتسحق من هب لإطفاء الثورة

العطـاء

وأبو الصديق يـكاد من الحزن يرى — وهو الأعمى كل الأشياء

هل حقاً أجدب بيتي ؟

أين الذهب القابع من عهد صباي

كل شقاء العمر يصير مكف سواي !!!

لم أجن سوى الحرمان !

النهم الأخرس والحب نقيضان

هل يجتمعان ؟

وتقود الأعمى أسماء .

فتصير الأحجار دنانيرا براقة
ويعود الوهم يخدر أعصاب الأعمى
ما زال المال كما كان
لم يسرقه أبو بكر ولم يطعمه سيوف الإيمان
لم يسطِ عليه محمد وهو يرتل آيات القرآن
والمصدوق يحاور صاحبه الصديق
والفرحة مفعمة بالخوف على التمر المشتاق لقطرة غيث
ماذا أبقيت لأبنائك
بقيت الله وأنت
والأحجار دنانير براقة
ويتمتم في همٍ من لم يبصر نور الحق ولا ذاقه
ما زال المال كما كان

* * *

اه ... سماء والأنجم في كفيها
والكون يسير بهودجها يحرس هدبيها
والقمر يضيء أغاريد السحر بشطيها
و بساتين الحب تضوع بعينيها

فهى اليوم تزف وطير الوجد يرف على جفنيها
لكن
هل سجنت معصمها بسلاسل ماسية
هل وضعت حول العنق الأسوار الذهبية
هل سقطت فى وهم الإغراء وقالت
لامعبود سواى
خلعت ثوب العرس.. وراحت تسكب نبض القلب وومض العقل
بمعركة حياة لاهثة معطارة
راحت تعصر أحلى لحظات الزمن .. رحيقا ، خبزا ، حبا
سل راحتها كم وهبت لرحاها
سل قربتها كم نهبت من خصب قواها
كم خطت فى كتفيها بجراها
واكشف عن قدميها تنبئك بأى دروب كانت ممشاها
سل فرس ابن الدهـــ وام يجمحم ...
ما سبقت قدمى ظلى
فى الوثب وراء عدوى لولاها

واسأل عروة . والمنذر . والحسن وعائشة ، وعبدالله ...
عن الأم الأرملة الثكلى
أجرت من فيض القرآن بصحراء روائهم
أنهاراً وسحائب رضوان وأمان
هل تهرم أسماء
والقلب المثمر بالإيمان حديقتها المعطاء
يمتد الجذر لكى يتفرد بالخصب بعمق الاعماق
والاغصان تفتح أعينها
تنشر أجنحة الخير وتغرس بسمتها فى الآفاق

٣ — التحدى

أسماء : فى لب الاغصان نداء إباء
لم يصغ لسيف الحجاج الغارق فى بركان دماء
لم تهتز جذور الحقل أمام الاعصار الاموى ...
... المصبوغ بأشلاء ابن على
عيناها اختزنت كل تجارب رحلتها لليوم الموعود

يا عبدالله

لا حاكم إلا الله

لا تعط السارق بستانك

لا تترك فى وجه الإعصار الأهوج أغصانك

صغ من أوتار هداك رماحاً تفنى من يخنق ألحانك

واجعل من نبض يقينك صاعقة

... تنقض على من يغتال اللحظة إيمانك

ـ يا أماه : لا أخشى أن استشهد أن أتلاشى فى نور الله

أن أنفق آمالى وشبابى فى استثمار طريق الله

أن أغدو معبر أمن ونجاه

لضمير صفاه الألم العذب ولم يتحول عن وجه الله

ـ لكن يا أماه : ما أقسى تمثيل الحجاج إذا عانقت الخلد ...

وحلقت رضياً فى ملكوت الله

يا عبدالله :

السيف فى يدك الأقدار تحميه

ومن دم الغاصب الجانى ستسقيه

لا يوقف الريح إلا قمة شمخت

وكل عاد بقاع السفح ترديه
وليس ينقصها أن تبق عارية
فالزهر فى عمقها نصر تغنيه
والشاة ما ضرها سلخ وقد ذبحت
فاحمل على السيف مجداً أنت تحميه
ما دمت تسعى لحق أنت غارسه
مهما يطل غصبه حتما ستجنيه

البيضاء — ليبيا — ١٩٧٩

مشاهد من ملحمة العشق والبطولة

«لمحمد بن القاسم الثقفي»*

١ — افتتاحية

من فوق الطائف في دائرة الرحلة بزغ القمر الثقفي
وسيوف العصبية تحمي مجد أمية
تصلب حتى في الأرحام الظمآى لعلي

---

* هو القائد الشاب العربي المسلم الذي فتح بلاد الهند في عهد الوليد بن عبد الملك . وقتله صالح بن عبد الرحمن التميمي بأمر من سليمان بن عبد الملك في سجن واسط بالعراق لأنه ابن عم الحجاج الذي كان يؤيد الوليد في عزل أخيه سليمان من ولاية العهد . ومات في الرابعة والعشرين من عمره !!!

٢ — التكوين

من ثدى السيف تغذيت
وعلى صدر أمية غنيت
وبقلب الحجاج دخلت
ونزعت النقط السود السارقة الأضواء وسافرت
فى شريانى كلمات المصحف تهدر نهراً من نار وضياء

٣ — التجربة

والهند بذاكرتى والسند أساطير وحقائق
وبعينى سيوف وبيارق
والله ... محمد ساريتان بأعلى عليين
فى ظلهما رحت أقاوم عسف الزمن المتموج فى سنوات العمر
أستنبت من صخر الحلم زهور الآتى الخضر
أنطق كل الأحجار الآلهة بأقدس ما قال الشعر
فى ظلهما احترق السيف ـ الطغيان ـ وجف الرمح ـ الكفر

٤ — الاقتحام

وبرغم السيف الغائر فى عنقى ...
... لم أسقط وعبرت النهر .
و «الديبل(١)» صنم مرصود .
قالوا : أسطورة أهل السند ولا تقهر
والسارية الحمراء مع الريح تدور ...
... بكل جهات العالم وهى تفوه بنبض الصنم الأكبر
نسجت من نار الرعب وبان الوهم عليا تنينا أحمر .
لكنى وجنود الله على الأهوال علونا
والرايات الكافرة احتضرت بين يدينا
والحق اقتحم الساحة كبر واستغفر .
نحن — الفقراء — المطرودون من الدعة ونخب الليل المسكر
إن لم ينصرنا الرحمن فمن ينصر . ؟

---

(١) مدينة فى السند وهى الآن : كراتشى بپاكستان وكان بها معبد كبير للبوذيين تعلوه راية حمراء يقدسها أهل هذه المدينة.

... .. ومضينا ننشب قدرتنا ...

... و الأيام — الصخر — ونهزأ بالريح — الرمضاء —

وكشفنا فى « الملتان(١) » المنطقة المجهولة فى أنفسنا

حيث الذهب هناك تراب يبرق فى الظلمة

والسيف اللفة الموارة حين يصير الذهب إلها ،

وعبادته حكمه .

٥ — الحقيقـــة

آه ... لم أعرف أن العمر يكون رواية إحن وعفونه

ويكون ملاحم عشق وبطوله

إلا حين هبطت إلى أعلى

من ذروة إقدامى للسفح الممتد على جسر الفردوس

ذلك أنى لم أسرق تاريخ الأمة أو ألبسها المرض

لم أزرع فى شطيها الصبار ولم أطفىء فى عينيها الورد

لم أشرب من دم أعدائى

ولأحبابى قدمت دمائى

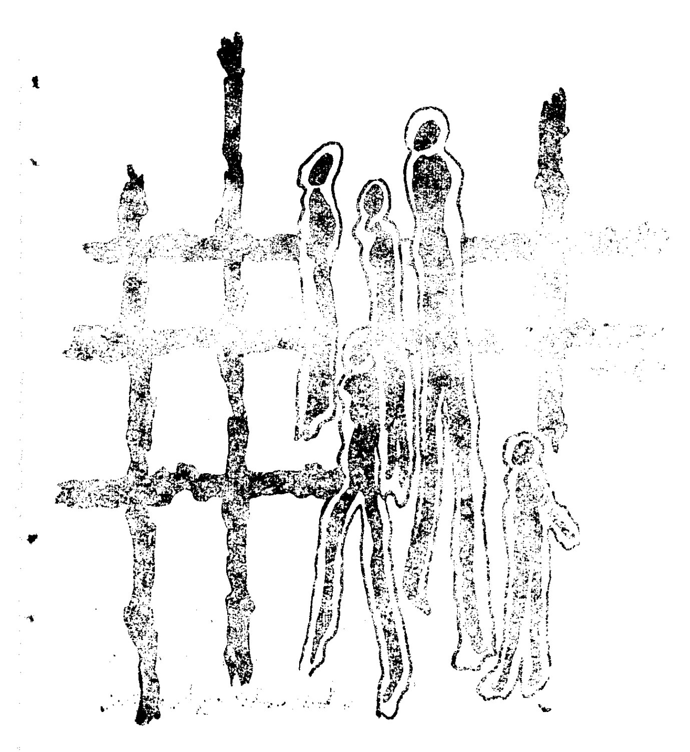
---

(١) مدينة فى بلاد السند اشتهرت بكثرة الذهب وسماها المسلمون : ثغر الذهب .

٦ — الصراع

ويسافر فى زمن الدم الحجاج ...
... ويبقى السيف — الموت — اللعنة، قصة عدم تنصب على
والكرسى - الحكم — العدل — المنصب — ميزان مكسور
وسليمان كل الأشياء مسخرة لهواه الموتور
حتى التاريخ . ضمير الثوار — الرأى ...
... لديه مفاوز موت ورياض حياة !!!
والصم — البكم — العمى . كبار مشيريه وسمار الليل !!!
والموت هو الظل الحاكم
من أين يمر الموتى الأحياء ؟
. من هذا المنعطف المحموم المتمرد
« تحل دماء المسلمين لديهم ويحرم طلع النخلة المتهدل »
. والأحياء الموتى من شرفة هذا البيت يطلون
« وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح »
. والسمار ينوحون : الحجاج الغائب موجود ...
... وسليمان يرى
جوحوش البيد تخطف منسأته





— ٧ —

« وأنا » ... مسجون يرهبه السلطان
ضوء نارى خلف القضبان
السجن أفق والسلاسل سدتى

والحب فى زمن الضياع طريقى
قد أينعت رأسى وحان قطافها
لكنهم لا يقطفون إرادتى
الطائرون : الريح ضد هواهم
والقابعون على ضفاف الجنة !!!
إنى أنا النهر المسافر بالعطا
ولن يعوق الصخر عنف مسيرتى

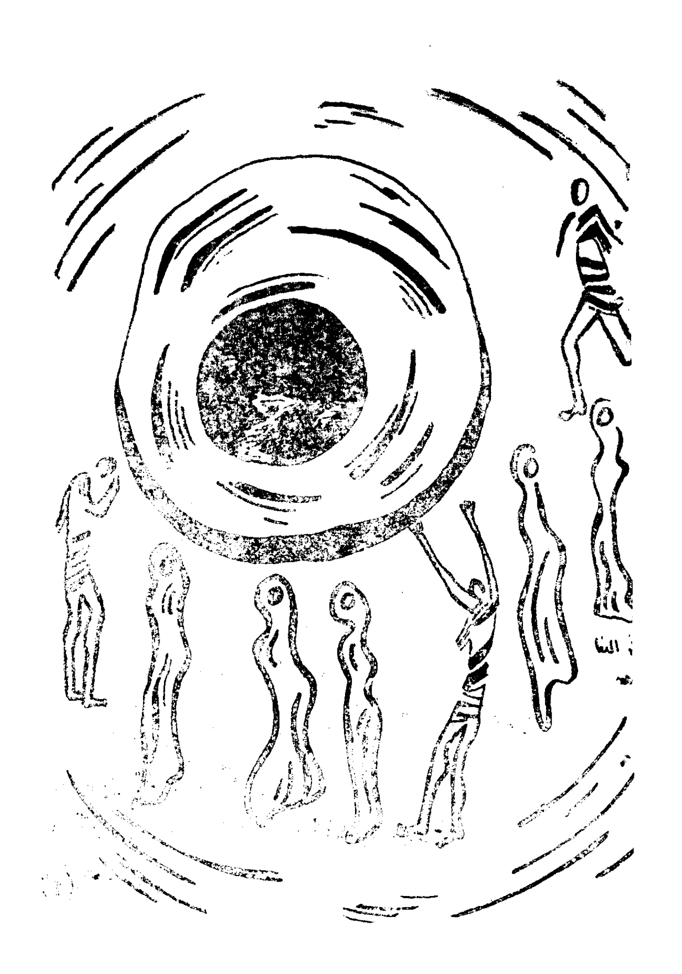
البيضاء — ليبيا — ديسمبر سنة

الفزع الأكبر

(والطور)
(وكتاب مسطور)
(فى رق منشور)
(والبيت المعمور)
(والسقف المرفوع)
(والبحر المسجور)(١)
. والشعب المقهور !!
والقدس المشطور
والأقصى المهجور
قد (جاء الأمر وفار التنور)
والعالم يغرق فى الديجور
والسلم يفتش عن ساعده المبتور
والشمس تجمع كل حقائبها ...

---

(١) هذه الآيات الست من أول سورة « الطور » ، واختيار هذا المطلع له دلالة فنية فى القصيدة .



... ترحل عن زمن يخنق أصداء النور
تبحث عن وجه آخر للعالم ...
.... لا يتوارى خلف قناع شرور
فسماوات العصر انشقت
والأرض أراها قد مدت
(ألقت ما فيها وتخلت(١)) .
والأنجم فى قلب الإنسان انكدرت
وجبال الأحلام تسير (كالعهن المنفوش)
والناس من الفزع الأكبر مثل فراش مبثوث
والأطفال تبعثر تغدو للنيران وقودا !!!
هل يوم الحشر أتانا بغتة ؟
هل نفخوا فى الصور ولم يصعق غير الثوار ؟
هل أصبح الميزان المكسور وما خلف القضبان سوى الأحرار ؟
هل تشرق بعد الآن الشمس من الغرب ...
... وتوأد كل الأقمار ؟
هل سيق الناس إلى الحشر ؟
والأرض - جهنم - تغلى تستقبلنا زمرا ، زمرا

---

(١) الانشقاق ٤

تفتح آلاف الأبواب !!!

تميد من غيظ ...

لا تقنع بالأطفال ولا بالأمهات ولا بالآباء !!!

تلتهم حقول البترول

فهي الآكل والمأكول !!!

تلتهم الأجران الحبلى بالقمح وتحرق حلم الفقراء

تغتصب زمان الوعد الأخضر ...

... تلقي بذرته في القيظ ...

... وتلقي في الإعصار نبوءات الصديق

فيصير الماء غبارا ودماء

وعصا موسى لا تضرب أحجار الظلم ولا تغدو جسراً

للشرفاء !!!

وسفينة نوح لا ترسو فوق الجودي ...

... ولا تبصر وجه الميناء !

فاليوم تقوم الساعة والأرض براكين دماء

والحلم يفتش عن ساعده المبتور

يبحث عن عينيه الشاخصتين وراء القضبان

ويسافر في حمم الأنقاض ...

... يفتش عن ذاكرة غربت منذ سنين !!!

هنا كان عمري الذي قصفوه

هنا كان قلبي الذي ضيعوه

هنا كان وجهي الذي شوهوه

هنا كان حلمي الذي بعثروه

هنا كان عقلي الذي خسفوه

هنا النيل في صخب الظلم يصرخ والناس لم يسمعوه

(إن حظي كدقيق فوق شوك بعثروه)

ثم قالوا لحفاة يوم ريح اجمعوه)

... ...

والأرض تبدل غير الأرض

وعلي يحمل فوق السيف القرآن

---

(١) هذان البيتان لشاعر النيل حافظ ابراهيم : وهما من بحر الرمل .

بجار فى النجف الأشرف (١)

... فى قم ... فى عبدان (٢)

(تلك حدود الله) (٣)

لا يتعدد وجه الله

والشمس تجمع كل حقائبها ...

... ترحل عن زمن يضم أصابعه فى أذنيه ...

... ويخنق أصداء النور !!!

تبحث عن وجه آخر للعالم لا يتوارى خلف قناع شرور

تركب فلك الإيمان وتعبر طوفان الديجور

مجراها باسم الله ومرساها

تصغى للصوت القادم من لدن الملا الأعلى

(فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك)

(إلا من سبق عليه القول) (٤)

---

(١) مزار الإمام علي بالعراق

(٢) مدينتان فى إيران

(٣) من سورة النساء ١٣

(٤) المؤمنون ٢٧

فهو يجدف فى البحر المسجور

والربان السائر بالشمس يظلله البيت المعمور

تجتاز سفينته يم العصر ...

... وترسو فى جبل الطور

وتشق تواريخ التيه ...

... وتشرق بالألحان بمين الأقصى المهجور

ويغيض الماء ...

... ويقضى الأمر ...

... ويلتئم القدس المشطور

والسلم ترفرف فى الآفاق ذراعاه ...

تلوح بالسيف المنصور

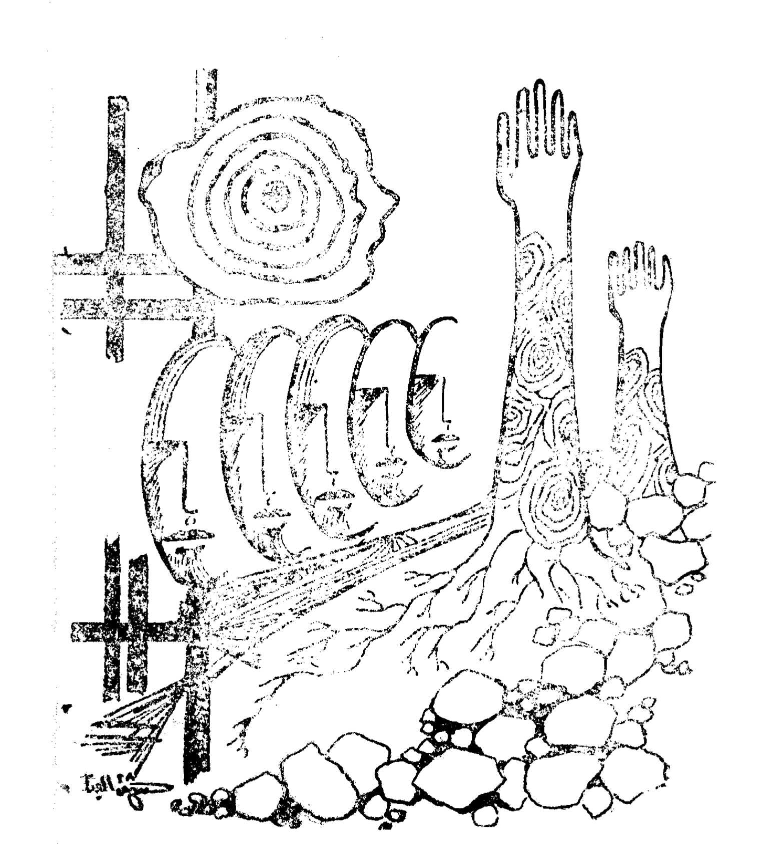
الزقازيق يوليو ١٩٨٢م

العشاق فى موسم العودة

قال تعالى : فأنشأنا لكم به جنات من نخيل
وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون
وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن
وصبغ للاكلين سورة المؤمنون (١٩،٢٠)

....

وبعد زمان التغرب أرجع أحمل كل اشتياق السنين إليك
أنادى عليك
وأنت بقلبى انطلاق الأمانى
وأنت بأفقى ظل الزمان
وأنت انتفاضة روحى
وذاتى شمس تغرد فى شاطئيك
أنادى عليك
وأعرف أنى نهلت ضيائى من مقلتيك
وأعرف أنك ما هنت يوما
وما هان سيفك فى راحتيك
وما صار موجك سما
فكل التواريخ شبت على ساعديك



أنادى عليك

وأعشق فى خطوك الكبرياء

فكل السفائن تجرى إليك

وكل المنارات فى ناظريك

وكل اشتياق المفازات للرى جاش لديك

وكل الحدائق بنت يديك

أنادى عليك

فأنت برغم الذين أغاروا عليك

تواصل مجراك منذ انفجار الزمان

وتهزأ بالعاديات وبالعنفوان

وتزرع ظلك فى كل أيك

فيومى الأمان

وتغرس فى كل حقل يديك

فينمو الحنان

أنادى عليك
وأنت تحلق فوق الذين أغاروا عليك
فهل بالحرائق والحقد هم جففوك ؟
وهل بالحصار المكابر هم قيدوك ؟
وهل برصاص الخيانة هم قتلوك ؟
أنادى عليك

وأنت كما كنت تهدى إلى الحق من كفروك
وأنت كما كنت تسبق من نافسوك !
وأنت كما كنت تحنو على كل من حاربوك
وتسقى ودادك كل الأولى هجروك
أنادى عليك

ومن قاع واديك يا نيل ...
... عشاق السمر هبوا كمثل الرياح
وقد دمروا الخوف فى جرأة النسر حتى ....
يعيدوا إلى الصباح
وكنت لشريانهم منهلا
فكانوا لجيدك أحلى وشاح

تساقت دماءهم صفحتاك
فأينع في العمر خصب الكفاح
أنادي عليك
فإنك أحببتيني بالضياء
وذقت الأفول
وإنك رويتني بالإباء
وذقت الذبول
وإنك أمهرتني بالوفاء
لحزت القبول
وفي موسم العودة الخصب يشرق فينا عناق الخيول
وفي ملتقانا تقيم العناصر عرس الفصول
أنادي عليك
وفي ثورة الموج يومض برق السؤال
أفي موسم الخصب أصبح مستودعا للرمال ؟
أفي حفله العرس يكتسح الصخر عطر الظلال ؟
« وسيناء تنبت بالدهن ، يخطر فيها الجمال

أنادى عينيـــك

فأقبـــل

على راحتيك الحدائق تنبت عزم الرجال

وأقبـــل

بعينيك فجر التحدى يمزق ليل المحال

وأقبـــل

وفى خطـوك المطمئن شمـوخ الجبـال

فسيناء تنبت بالذهن يخطر فيها الجمـال

الزقازيق – مايو ١٩٨٢

باسماً كان كوجه النيل سمحاً كالجدود الطيبين
فارع القد كمثل الهرم الأكبر وضاء الجبين
يده أنقى من القطن وأندى من عطور الياسمين
قلبه مثل شعاع البدر ، فياض بهالات الحنين
روحه سلة قمــح تهب الأمن لكل التائهين

... ...

هكذا كان صديقي رحلة عبر السنين
سافرت أيامه والدرب قاس وضنين
زاده كان التأني في زمان العاثرين
وأمانيه حقول من سحاب واعدين
لم يعش في سجن وهم في زمان الواهمين
مبحرا في زمن الحب لقوم ظالمين

... ...

لم يصدوا الريح عن أغصانه وهى تضيع !!
شاهدوه ... العمر يذوى وهو نهب للصقيع !!
فأداروا ظهرهم وهو مع الداء صريع !!

فتح العينين لم يشهد سوى ظل الربيع !!
سقطت أوراقه تحت خطى الليل المريع
نضجت أثماره
فالتقطوها عرضوها للبيع !!

يوليو ١٩٨٢ م - الزقازيق

« أسئلة تبحث عن المرفاء »

وتسألني عن النبع الذي يروي طموحاتي
وعن زمن الرحيل متى يذوب مع المسافات ؟
وعن ثمري متى يأتي فيطفيء ثورة الذات ؟
وعن غيثي متى ينفك من رحم السحابات ؟

البيضاء . ليبيا - يناير ١٩٧٨

لن يموت في عيوننا النهار

(من سورة الحشر)

قال تعالى : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا
من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله
ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله ،
أولئك هم الصادقون / ٨
والذين تبوءو الدار والإيمان من قبلهم
يحبون من هاجر إليهم » الحشر ٨ ، ٩

... ...

قوافل الإيمان هبت والضياء قادها لمرفإ الأمان
حاكت من الإصرار ثوباً وارتدته ...
... حطمت به عواصف الزمان والمكان
وينحني التاريخ إجلالا أمام من مشى بها من الفرسان
ففي قلوبهم نمت حدائق السلام
وحطموا مدائن الكلام
تعانقوا وحولهم يضوى عبير الانتصار
وفوقهم ألوية العزة والفخار
تسبح في سحر الأماني المزهره

تسرى بها روح السماء الطاهرة
تشدو بها طيورها
وتحتسى أقمارها
ألحانها المنصهرة   من خمرة الأرواح
من كرمة الإيمان   من دوحة الإصلاح
مهاجرون للإله   فى رحلة العرفان
تدربوا على هواه   فى ساحة الميدان
قد غرسوا فى قلبهم أسمى شعار
نموت لكن لن يموت فى دروبنا النهار
نموت فى سبيله الابناء   وموتها يهون
وتهلك الأموال والآلاء   ومالها تصون
وترحل الأطماع عن نفوسنا
وتخلع الأوهام من رؤوسنا
وتقفر الأيدى من البريق
فنبضه وهم   وشمسه سراب
وماؤه غيم   وشهده عذاب
وكأسه سم   وخمرة ضباب

يفنى ولا يبقى سوى أسمى شعار
تموت لكن لن يموت فى دروبنا النهار
وانتصروا ، ولونت أعماقهم بصبغة القرآن
وطاولوا الشمس بفرسان من الإيمان
وفى قلوبهم سرت ملحمة الضياء
أبطالها التصميم والاقدام والفداء
بروحهم تغلغلت وانصهرت أشعة الطهارة
وقبلت أعماقهم إشراقة السماء

خلقوا فى ساحة الحقيقة بلا جناح
فروحهم أسيرة طليقة بلا وشاح
فى لجة من السنا غريقة مع الصباح
ومارد الإيمان صاح

ياقبلة الإنسان ياشرعة العدنان
قد هاجر السلام من أرضنا الحزينة
لم ندر أين راح وغادر المدينة
وأصبح السلاح يفجر الضغينة
والأنف فى الرغام لنكبة مهينة

والأرض غاصت فى الجراح
أخرسها طول النواح
واستعرت من شرعة مجنونة
تقلدتها عصبة مفتونة
فعقلها كعمرها خراب
وشمسها انصب فوق رأسها اليباب
شمالها ينوح بالأحزان
جنوبها يغرق فى الأدران
جبالها محمومة الأعماق
سهولها مصفرة الأوراق
أيامها باهتة الأحداق
تنذر بالمستقبل المغبون
والحاضر الملعون
وأصبحت كطفلة بين الترُوس
قانونها يسب فى الكئوس
وتنحنى له الرؤوس
برغم أنه يقول
الحرب تسحق النفوس
الحرب تسحق النفوس

قد كبرت مكة يثرب(١)
وأصبح العالم كله شبيه مكة
ما فيه إلا الغدر والشقة
وما وجدناك ولو نجوى على فم البشر
فأين يا يثرب نلقاك لنرفع الشراع
أين تهاجر القلوب فهى تبكى بين أنياب الضياع ! ! !

* * *

— هجرتنا للنفس عنها نكسح الأوزار
نرفعها لجنة القداسة السامية الشعار
نسكن فيها الأمل الذى يوشيها بأنوار الخلاص
يغرس فيها ثورة القصاص
يلبسها ثوب الأمان والأمانى المزهرة

---

(١) المراد مكة قبل الإسلام .

٨ •

يزع منها العفن العتيق والاجنحة المكسرة
يلقى بها فى قلب أفق الانتصار
فى وهج الصدق وأعماق النهار
حتى نقود خطونا ولا نضيع فى متاهة الدمار
حتى نصير كالمهاجرين والانصار
نرفع فى نخبة أسمى شعار
نموت لكن ان يموت فى عيوننا النهار

أكتوبر ١٩٧٠

كلمات على طريق الحرية

وسرت على الطريق الأخضر المفروش بالورد
أغنى للغد المأمول ... أرقب موكب السعد
وأحـــلم بالأمانى الخضر والكاسات والشهد
وبالثغرين يلتقيـــان ... والأيدى على الأيد

... ...

وأسكرنى التجول فى دروب الحلم والأمل
وكادت تعصر الخفقات بين اليأس والوجل
فمدت مرنح الخطوات مثل الذاهل الثمل
أرى الحجر الصغير وقد بدا فى صورة الجبل

... ...

وسرت وسار وهمى فى ضلوعى يقتل الفكرا
فبالأحلام والنجوى وبالأصداء والذكرى
غدا سأكون سلطان الحياة وأملك الأمرا
وأمطر وجنة الأيام من لئلائى الشكرى

... ...

وأيقظنى من الأوهام صوت رن فى أذنى

نظرت فإذ به صوت اشيخ ذاب فى الوهن
ويأسر فى يديه الفأس يهزأ بالأسى العفن
ويهتف : هان عمرى فى سبيل الأرض ياوطنى
فلاحت صـــورة القهر أمام العين كالجمر
لجدى مثله ضمرت سواعـــده من الصخر
وبين الموج قـــد دفنت مآثره مع العمر
. ونحن لشيد الأحـلام فى زهو على النهر

... ...

ذهبت إليه . حيث رأيت جذعاً مابه ورقه
له لون التراب وقـد أسال على الثرى عرقه
ذهبت وقلت : هات الفأس : قلبي نبضه شفقه
فقال : بنى : لا : فالطين يخلد فيه من عشقه
. وعاش ليسحق الجوع اللعين وجوعه سحقه

... ...

وقال : الفأس بعض من عظامى : والثرى لحمى
مكانك فى خطوط النـار تحرق غابة الظلم

وتنزع من قلوب الناس صبار الأسى المدمى
فقلبي من لهيب الحزن صـــار كقطعة الفحم

... ...

هناك وهبت للموت المقدس فلذة الـكبد
وحيدى كان لـكنى به ضحيت ياولدى
هنـــاك تراه ثأراً لاح فى الآفاق للأبد
وإكليلا من الحب الذى أفدى به بلدى

... ...

وفى عينيه أشجار الأسى شبت بها النار
وقد حضن الثرى فمه وأشعل قلبه الثار
وقال « الفأس فى كفى بها سيحطم العار »
« وحيدى لم يزل حيا يعانق روحه الغار »

... ...

بنى أما ترى جدب الحقول وصدمة النكسة ؟
وذل اليتم فى عين الصغير ومادرى بؤسة !!!
ونعش نهارنا يمشى . وقد دفن الأسى شمسه
ووجه بلادنا المفقود يرثى فى الدجى نفسه ؟

... ...

فقلت امم : وفى عينى غامت صورة الكون
تذكرت الضياع ورحلة جرية اللون
وثرت على الوجود ... على مآسيه التى تضنى
وقلت أبى : سأرحل كى أتم رسالة الابن
سأعبر نهر أحزانى وأغرق فيه أشجانى
وأشهد فجر ميلادى يمزق ليل أكفانى
وانسج للغد العريان ثوبا من دمى القانى
وأسكب فى دمى النشوى لتقتل يبس شريانى
وفى بيداء عمرى فى كيانى فجر الثأر
فرحت أمزق الاوهام حتى يبزغ الفجر
ورحت أحطم الاسوار حتى يدفن الاسر
« فالحرية الحمراء » درب خطوه العمر

١٩٧٠ م

من فوق حبل المشنقة

(١)

من فوق حبل المشنقة
نظر الشهيد وفى كلا عينيه أمواج الثقة
يتراقص الإصرار فى أعماقه المتألقة
وإذا بأصداء ترن بغرفة الإعدام وهى مشاعل متدفقة
إنى كسرت الشرنقة
ووقفت كى أحيا على أوتار حبل المشنقة

(٢)

لو قطعونى ألف قطعة
ورموا بجسمى فوق شاطىء كل ترعة
أو شتتوا فكرى ولم ألق الذى يستطيع جمعه
أو كيلونى بالأسى
أو أرضعونى من حليب سياطهم مليون رضعه
لن تذرف العين الأبية أى دمعه
وإرادتى لن يقهروها فهى فى ليل المآسى ألف شمعة

(٣)

فعلى جدار السجن يا أمى هنا بدمى كتبت الملحمة
وصنعت من لحمى طريق إرادتى وبدأته بالجمجمة
ووضعت ألف إشارة مصبوغة بدمى لتهدى كل عين قادمة
فإشارتى الأولى ذراعى وهى قد قطعت بأيد مجرمة
صارت ضياء شع فى قلب الدروب المعتمة
وإشارتى الأخرى ...
... إلى ما لا نهاية كل آثار الجراح المؤلمة
صارت على وجهى ... وفى رأسى ...
... وفوق يدى ... وتحت الجلد أغلى أوسمة
صارت « نياشينا » تطرز صدر أخلد ملحمة
فأنا شربت الخلد من « صفيور » حبل المشنقة
لكن جلادى المكابر قد أقمنا مأتمه
ما أعظم استشهاد روح تعشق الموت المقنع بالفدا
ما أعظمه !! ما أعظمه !!

(٤)

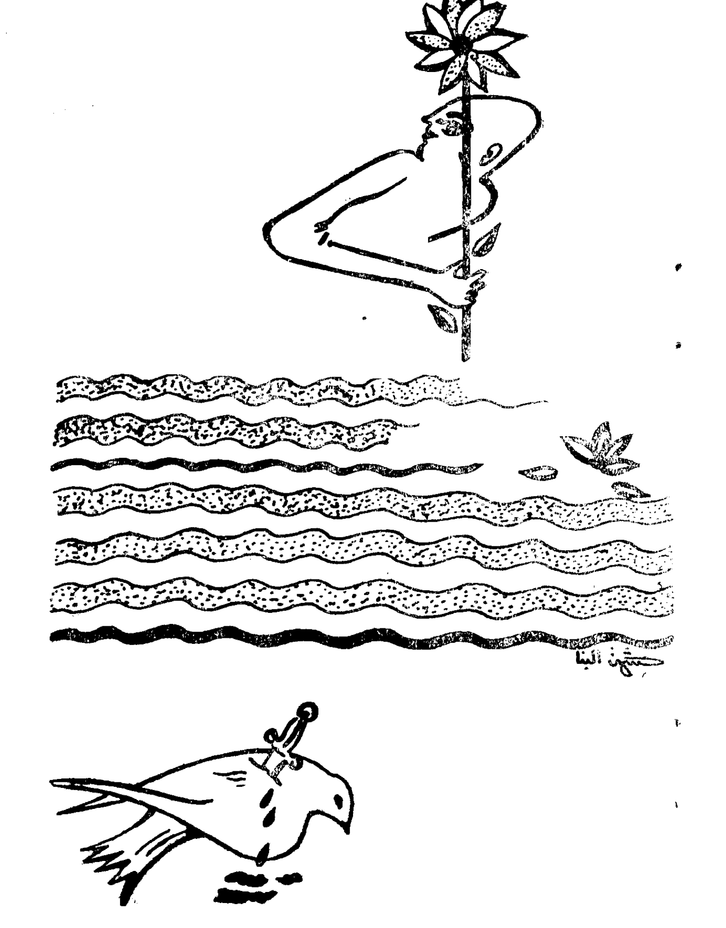
إن يقتلوني ألف مرة
فأنا سأحيا بعدها مليون مرة
الموت عندي والحياة ...
... كمثل ثوب غيره ، لأبيض من بعد حمرة
ودموع أمي ليس فيها أي آلام وحسرة
فدموعها بطل تقول له تقدم ...
نحو الوطن الذي ستعود لحجره

وبعينيها الإصرار ...
... وهو يميت أشباح الأسى
وعن القلوب يصد غدره
حبيبي في الشرق تاهت ...
... ثم تاهت ثم تاهت ألف مره
والشرق ذو سور من الذمم الخبيثة ...
كل يوم قد سقانا الغدر شره

ورأيت في يدها هوية عمرها ...
... وبها تطوف كمن تمنى طيف كسره
لكنهم قد جردوها من ثياب عنادها
وبوجهها صاحوا : لحقك ما لدينا أي ذره
فنهضت ... ثم خلعت سور السوق ...
... ثم صرخت لا .. لا ... أنت حره
وبرغمهم -- حتى إذا جاءوا بفيل أدخلوه ثقب إبرة( )
وعلى الثرى وقفوا
وكأن ذراعهم عند المجرة
أو أنهم حبسوا ملايين الجمال بقلب صرة
لن يسلبوا من معصميك سوار عزك أي مرة

---

(١) هذه الأبيات مستوحاة من قصيدة للشاعر توفيق زياد



فعلى طريق الثار يهتف واقعى

لا عشت يا بلدى ...

... إذا لم تحضنى قمر الخلاص وأنت حرة

فأنا كسرت الشرانقة

وترانقص الإصرار فى أعماق المتألقة

ووقفت كى أحيا ...

... على أوتار حبل المشنقة

... ...

« ١٩٧٠ »

... ...

المنفى داخل الوطن

(هكذا تكلم أحمد عرابى)

من أعماق التاريخ بعثت رسالة حب
من نبع الود نهلت صدى كلمات مرفؤها القلب
من ثكنات الجيش المقهور . . .
. . . وصوت الجلاد سياط صبت فى الآذان
من رائحة الأجساد الملقاة بأرض قد حبلت بالأحزان
أرقت من طول ليالى الحرمان
ذابت فى بوتقة الكرب
فلياليها ملك للسلطان
• من غيم تكاثف آمالى المخنوقة بالواقع يا أحباب
أبعث ألف كتاب
• عنوان كتابى الأول « وقفة عابدين »
حيث الصنم الواقف ، والكلمات رصاص يقتل أنفاسه
« لم يخلقنا الله عقارا »
« لن نستعبد بعد اليوم »

... كانت حجر أساس فى قصر الحرية
ما زالت فى صدر الأعماق قلادة
من أجل ضياها نيلت ألف شهادة

... ...

... عنوان كتابى الثانى « معركة التحرير »
وجيوش الأعداء بصدر بلادى تضع السكين
وتدر الخير الوضاء من الأثداء
وذويها يأتدمون الطين !!!
« وديليسبس » يزور أوراق قضيتنا
والشعب يقاتل من غير غطاء
وكأنا أسلمنا أنفسنا لمنيتنا
لكنا نفدى حريتنا
نهتف فى التل وعند رشيد
نقسم ... نقسم ... ثم نعيد
(والعصر ، إن الإنسان لفى خسر) .
« إلا من وصى بالحق وحارب من أجلك يامصر »

... ...

وقناة الشعب الملأى من عرق البسطاء
جعلوها شريان شقاء
وحصيرا فى وجه الجيش تمثيلى اليأس
حتى ازدهرت آمال (دليسبس)
كم بعثر أموال الشعب وقال ستحفر ألف قناة
حتى فقد الشعب ضياه !!!
وتهاوى فى جب المأساة
وإذا الجب ديون وقناة
تفتح فى زمن السلم ... وتغلقا فى زمن الحرب
كالزهرة يغرسها المسكين وتقطفها أيدى الأمراء
كم فجر من قلب الصخر فراتا أطفأ ظمأ الصحراء
وحساء الأعداء وكان نصيب المسكين المر مع الإعياء
هل من يصنع للناس دواء يأكله الداء !!! ؟؟؟

... ...

... عنوان كتابى الثالث والرابع ... والألف
والآلا ما لا ينتهى ... أو يخفى

(أيام المنـــفى)

والوطن بصدرى زنبقه بيضاء
تتأرجح مابين القلب وبين الأحشاء
... وفؤاد فى الجسد المنزوع من الأحباب
... الراحل من غير فؤاد
وعبير النيل بساتين الأحلام
يشدو فيها بالناى المسحور الخيام
والأهرام عرائس تصغى للأنغام
لكن الناى غناه حزين
كالطائر من غير جناح
كالقمر المنتظر الميلاد ... المسجون بأرحام الطين
مصفر الوجه يعيد قراءة كل الأوراد
حتى يأتى الميلاد

(المنفى داخل الوطن)

• صورة وطنى ... فلاح يمسك فى كفيه حديده
وعليها قد حفرت بعض حروف معدودة

تنىء عن شخصيته المفقودة
. يا كم يختم فوق الصحف البيضاء
يحسب أن السطر جوار السطر كلام مخطوط
لكن ينطق إحساس البائس ... يا للنفس الخرساء
لا فرق إذن بين الإنسان وبين الحيوان
الكل يساق برغم الأنف ...
تحت سياط السجان ليلاقى الحتف
يا كم مائة ... يا كم ألف ... يا كم مليون ...
يا كم ... يا كم ... لا يحصى الحرف
والآن أطل بروحى من شرفة أهل الكهف
أنظر فزعا ... خرفا من دقلديانوس ... رسول العنف
لكنى ألمح تغييرا فى كل مكان
فى الشارع ... فى الأرض ... وفى النفس ... وفى الزى ... وفى الإنسان
. ولمحت أصالة مصر فوق الأوجه خير وسام
فليمنح (توفيق) شروط الجيش
وليخطب اسماعيل أمام القصر
وليهتف فى كل عناد

(ما أنتم إلا ملك الآباء وللأجداد) !!!
(ما أنتم غير عبيد الإحسان) !!!
. كانت هذه الكلمات سدوداً فى وجه الحرية
لكن ألمح فوق الجدران عبارات مكتوبة
أعين كل الناس عليها مصلوبة
(لم يخلقنا الله عقارا)
(لن نستعبد بعد اليوم)
وأمام الكلمات المأخوذة من ذاكرة التاريخ
ألمح ألف عبارة

سنحارب من أجل الحرية

سنكون فداء للوطنية
نصرخ فى التل ... وعند رشيد
نقسم ... نقسم ثم نعيد
(والعصر . إن الإنسان لفى خسر)
إلا من وصى بالحق وحارب من أجلك يامصر

١٩٧٠م

ما عادت لوناً يتشكل حسب الطقس وحسب العادة
أو عشباً شيطانياً فى أفواه الدجالين
أو أجراساً ذات رنين مهزوم
ينبت فى السمع الشوك ... ويحرق أمل المنطلقين
لكن الكلمة يا أحباب
صارت نبعا يتدفق بالضوء وبالصدق وبالآمال الخضراء
وشرايينا تنفخ فى الأعماق الملتهبة من روح الإصرار ...
... فتزهر فيها كل الأشياء
والآن امتزجت بدماء الشهداء
تحمل عطر الأشواق لمحراب الحرية
وتعيد البسمة والحب إلى سيناء

... ...

فالوطن الإسم الخالد للكلمة
والحب الوجه الصادق للكلمة
والأمل القلب النابض للكلمة
والإصرار ... الشريان المتدفق فى أعماق الكلمة
. ولذلك حين عبرنا الليل نهارا

الكلمة والسيف

قال تعالى (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب
حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق .
فإما منا بعد وإما فداء .
حتى تضع الحرب أوزارها) من سورة القتال

... .

الآن الكلمة ليست حرفا
الآن الكلمة صارت سيفاً
صارت سيفا وخناجر
ولهيباً ومشاعر
فلتخنق كل الأصوات المغشوشة والزائفة الأصداء
ولتحرق كل الألفاظ الجوفاء
فالآن الكلمة تزحف . تزحف ... فى سيناء
تكبر ... تكبر ... فى صوت المدفع والدانات
تنطلق ضياء ... وخلوداً ... وصباحا ... يقهر ليل الأموات
ما ردت ذات مذاق متلون

كانت فى أعيننا الكلمات
وطنا ... حبا ... أملا ... إصرارا
ماهزمتها الأوهام ... ...
... ولا أنباء كالقرب المملوءة باللا شىء ...
من جيش لم يتذوق طعم الكلمات
وانطلقت ممن حيا نارى النبرات
من أيدى الأبطال البسطاء
أبناؤك يا مصر الشرفاء
صانوا شرف الكلمة
حين تحقق حلم العمر على أيديهم فى لحظات
وأحالوا الشوق لقاء وعناقا ممزوجا بالقبلات ...
لترابك يامصر الحاضن روح المجد وعطر الحرية

...

فالحلم المشرق فى محنتنا
النابت فى ظلمة تربتنا
كم كلمنا ... كم عرضنا لصفعات الريح الليلية
كم كابدنا الشوق لنسحق ليل الغدر ...

... ونزرع فى قلبك يا مصر ملايين الأقمار
ونفك ضفائرك لنغسلها فى ماء قناتك فى كل الأنهار
فى ماء النيل ... وفى الترع ... وفى القنوات
... لنمحو وشم العار
... والريح الشرقية تحمل عطر الأحباب
وعبير النصر بحطين يدخل من كل الأبواب
وصلاح الدين يهز السيف وتكبيرته تحتضن المحراب
وضياء المجد بجالوت يعلق فى صدرك يا مصر ...
... نجوما ... وشموسا ... وزهورا ... وعقود الخيلاء
... فانطلقى

فوسام العز بجبهتك حمامات سلام
والماضى قبر يسحق أى ظـــلام

وانتفضى

لجناحاك يطيران إلى الشمس يضيئان لآفاق
بهما حطمت ليالى الحزن وبددت الأسطورة
ووقفت على الشط الشرقى عروسا
بدماء العزة مهورة

تتحدثين هولاكو ....ما خفت صقوره

فاحتضنى الخلد

فإنا فى العين وضعنا حبك يا مصر

ومحال أن نحضن إلا قبر النصر

فلتفن الكلمات وترحل عن معجم هذا العصر

إن لم تصبح يا مصر مصابيح تضىء طريق النصر

إنا لا ننسى أنا حين عبرنا الليل نهارا

كانت فى أعيننا الكلمات ...

وطنا ... حبا ... أملا ... إصرارا

أكتوبر ١٩٧٣

نقوش على جدار الصمت

حبيبتى ...
فتشت عن وجهك فى معاجم النبوءة
فلم يفاجئنى سوى الموت أو الحياة
... عبرت ذاتى ... والتقيت بالجوع فى مفاوز الألم
وقد سئمنا الانتظار والوعود والصلاة فى بيادر الحواة
ولم تزل وليدة خطاك
وكل ذرة تئن من توقف المسير
وكل معول ينادى ... أيهذا الكف أين قبضتك
وكل روضة تنادى طالب الثمار أين سلتك
وكل غلة تنادى حان موعد الحصاد أين .. أين منجلك
... وأنت يا حبيبتى
أميرة تغرق فى سباتها العميق
تحلم بالسكون فى ظلال كرمة النجاة
حصانها من الخشب
سيفها من الحطب
و

ولا تريد غير أن يقال يا أميرة العرب
فارسك العملاق أحدث العجب
تمد صدرها افتخارا وهى تدرك أنه من السباق قد هرب !!!

... ...

حبيبتى

إنا نتـــادى من نوافذ الجماجم
لكنما جفت حلوقنا من النداء
ومزقت وجوهنـــا أقنعة الحياء
وقد صهرنا كل أكوام الجليد
نريد أن نطل ياحبيبتى على الحياة
نريد أن نخرج من دائرة الفراغ
ونكسر الأقلام والمحابر المزينة
ونشعل النار بأوراق التقارير التى
تقيم فى الأعمـــاق ألف مدخنـة
فما رأينا فوق أضلاع الطريق غير اشجار المساء
وما رأينا فى مراياناسوى حدائق الشتاء
وما بذاتنا سوى الطحالب المائجة

وألف درب للأماني المسكرات الواهمة

... ...

وعششت بنفسنا العناكب
وفى قلوبنا حرائق الضياع والأسى ... والذكريات المحزنة
كأننا فى بؤرة الوقوف نقطة العدم
وفوق ميزان الوجود قد تبددنا هباء أسودا
وفى صحائف الزمان لا نرى موتا لنا أو مولدا
ينطلق التيار ساحقا وجودنا
ورغم أن جرحنا يضج بالأنين
وتسيل منه كل آلام السنين
نظل فى أوهامنا
ولا نداوى جرحنا
ونفتح التاريخ قائلين ... منصتين ... حالمين ...
... معجبين بالذى يقول إنهـــا
كانت لنا .. كانت لنا ... كانت لنا .. !!!!

... ...

حبيبتى
متى ... وكيف تنهضين من رقادك الخريف
متى تشيدين منزل الحجارة الوريف
وتهدمين كل هذه الرفوف
فلم يعد لركبنا وقوف
إنا انتهينا حيث كنا قديد أنا يا الضيعة السنين
أخاف أن ندور فى دوائر الفراغ
تلفظنا الأيام ...
... والتاريخ يمسخنا فقاقيعا بنهر المعدمين
والريح تبذر فى ذواتنا الجليد والصقيع والدمى المحنطة
تنظر الأشياء ...
... لاندرى سوى أنانها منا شبه
فالثلج فى أقدامنا
والملح فى عيوننا
وينبت الصبار فى جباهنا
وعقلنا ... ونفسنا ... وقلبنا ...
وكلنا ... مثل الدمى المحنطة

تحرك الجبـــال كل ما بنا .. حتى الأمل
وتسلب الجبال كل ما لنا ... حتى الأجل
وأنت يا حبيبتى تذوين مثل شمعة فوق الرفوف نائمة
كم احترقت واستضاء من سقاك جرعة الأفول
كم اشتعلت بعدها ... سلبوك أغلى الأوسمة

... ...

حبيبتى

إن أجدبت حقولنا فى ذلك العام ...
... ففى غد ثمارها السيوف
فأقبلى ... وكبرى ... وزلزلى الحتوف
فإنمـا الموت هو المهادنه
وألف سيف فى كياننا يقيم ألف محزنه
وألف شلال من الرماد فى أعماقنـا
لم نحى بعد رغم ما قالوه من سبعة آلاف عام
ولم نزل نجتر من فم الزمان قصة العزاء
ورأس مالنا العراء
ننام فى تابوتنا الحجرى نلهو بالرسوم الزائفة

وخمرة الجب العتيقة المذاق
وقد تداخلت لدينا كل ألوان الحياة !!
وأثمر الجبن بداخل الجميع حنظلا
لم تبد فى العين سوى بلاهة المفاجأة
وقصة الضياع والعبث
وصورة الجلاد والخوف الرهيب والملالاه
ونغمة التكرار والرتابة المحطمة
وزيف أحلام الضعاف والوعود المسكرة
ووشم جدتى العجوز وهو يحكى قصة منفرة

... ...

وكهفنا العتيق قد تحركت صخوره
من هزة مفاجئه
وكل ما فيه سرت فيه الح[illegible]
هل هو البعث يفجر الزمان من جديد ؟
وهل أتى الأوان
لنزع القناع
ونصهر الجليد ؟

وهل محونا المشهد البعث وقصة النضال الدامية ؟
أم نكتفي بالدهشة القاتلة ؟
وعندما تحطم الكهف خيول الفاتحين
نسأل في بلاهة ...
ما البعث ؟ ما النضال ؟ ما الحياة ؟
لأي شيء حطمت كهوفنا خيل الغزاة ؟ !!!

يناير ١٩٧٣ م

العرس والدموع

رحل فى زمان الهزيمة . وأوصانى بالفـــرح
فقاومت ... وواصلت الطريق ... فهـــل
تهرب الأحزان ؟؟

لسانى معقود ... وفكرى مبعثر
وقلبى بالشكوى يئن ويزفـــر
وروحى بآفاق الأسى قد تطايرت
كأشلاء آمال على النفس تخطر
وذاب كيـــانى فى جحيم تألمى
فما عشت إلا بالنوائب أشعـــر

فكف المنايا قد أطاحت بهجتى
وموطن آمالى الذى منه أغمر

يقولون لى صبراً وإنى صابر
وكيف على غدر المنية أصبر

ذوى غصن من كانت يداه حديقتى
ومن كنت فى تحنانه أتعطر
ومن كان بستان الرجاء لخاطرى
بكل أمانى الروح والقلب يثمر
ومن كان فى درب الحياة منارتى
ومنظار أحلامى الذى منه أنظر
ومن كان يشقى كى أنال سعادتى
ومن كان بالأحداث لايتأثر
قضى عمره كالشمس يقطع رحلة
من الشرق حتى الغرب وهو منور
(عليه سلام الله فى يوم مولد
ويوم ارتحال ثم ساعة ينشر

... ...

أبى والأسى شوك بجفن خواطرى
وقلبى بالأشجان والحزن يقطر
أعض بنانى والمشاعر أحرقت
وما عاد حرف فى شفاهى يذكر

وكم كنت أخشى أن يحين فراقنا
ولكنما الأقدار تنهى وتأمر

هو الموت إعصار يطيح بأنفس
على رغم أحزان من القلب تهدر

وما الدمع يجدى يا أبى وقت بطشه
وما أنة الأطفال للموت تزجر

ولكنه أمر على الكل نافذ
وهل أحد فى الكائنات يعمر ؟؟

... ...

وحات وفى يوم الرحيل قلوبنا
بنعشك كادت تستقر ونقبر

ولو كان لى فى الأمر شىء لغيبنى
مكانك لكن ذاك أمر مقدر

حرمناك فى عصف الشدائد روحنا
على قلبنا ظل السلامة تنشر

حرمناك حصناً للمنى ياحبيبنا
وما كنت عن تحقيقها تتأخر

حرمناك فى ضوء الصباح جليسنا
وتضع « شايا » لحليب وتوثر

حرمناك فى صفو المساء سميرنا
مع البدر والألغاز والحب نسهر

وتحكى لنا ألفاً من القصص الذى
يروح عنا ماتلاق ونحذر

وآذاننا ملك لما أنت ناطق
به حيث فى كل القلوب يسطر

وكنا إذا نمنا نراك ملاكنا
فكم كنت الحلم المفزع تنهر

وكم فوقنا شدت يداك غطاءنا
ومن قلبك الدعوى لنا تتحدر

وكم ذقت حرماناً لنشرب سعدنا
وقد كنت بالحرمان لا تتذمر

فقد عشت مثل الشمع نور حياتنا
تدر لنا الحسنى وأنت تدمر

عبرنا على أكتافك الصعب والأسى
أفى آخر المشوار ظلك يبتر ؟
ففى القلب ماعشنا الحياة مرارة
وفى النفس ما طال البعاد تحسر

... ...

رحلت : وفى يوم الرحيل قلوبنا
بنعشك كادت تستقر وتقبر
كأنك فى يوم الوداع مناصر
لنا مثلما عشت الحياة تؤازر
كأنك والأقدار فى موكب الأسى
حبيبان لاسر لذلك يظهر
وإنا عهدنا الموت قصام أظهر
فكيف رأينا الموت فيك يخير
أأخرت ركب الموت وهو محدد
لتشهد عرس الإبن وهو يعطر(١)

---

(١) كان زفاف أخى « فتحى » فى الليلة التى فارق فيها أبى الحياة ولكن بعد أن تم الزفاف !!!

وصفقت للدنيا بحفل زفافه
وصفقت الأخرى لأنك تقبر
نقيضان فى البيت الذى أنت نوره
قد ائتلفا والناس للكل حضر
وبين تروس الواقع المر يا أبى
تئن أحاسيس وقلبى يعصر
ويجتاحنى إعصار يأس مدمر
إذا راح فكرى فى لهيبك يحشر
ضباب من الأوهام يحجب رؤيتى
ولست لوهمى أو عذابى أفسر
على جمر آلامى تقلب خاطرى
وزادى شوك الصبر لو كنت أصبر
وكم طال ياغيثى اشتياق حقولنا
ومن قبل عنها كنت لاتتأخر
وسافرت حيث اللارجوع مخلد
فهل برؤك الموت الذى منه ننفر
وسافرت والأطفال تسأل فى أمى
متى الجد ياأمى من السوق يحضر

لقد غاب عنا ما عهدنا غيابه

وقد عادنا شوق لحلواه مسكر

وتبكيك في الحقل الخصيب سنابل

لكم كنت ترعاها فتنمو وتزهر

وأنت سواق كنت في الليل خلها

وفيها خرير الماء ناي وكوثر

هي الآن في صمت فقد غاض ماؤها

ومن قلبها دمع الأسى يتفجر

وكل مكان فيه دبت خطاكم

يئن ويستحي إذا سار آخر

وما زلت في قلب الصحاب منارة

وفي فكرهم نوراً مدى الدهر ينشر

... ...

أبي والأسى شوك يحفز خواطري

وقلبي بالأشجان والحزن يقطر

أخاطب دهري والأماني كسيرة

سيوفك ما زالت بنا تتنمر

كأنك جبـــار ونحن رعية
تدوم وتفنى رغم أنـك تغـدر

وتغرس سكين الردى فى قلوبنـا
كـأن دماء النـــاس عندك عنبر

وتضحك إن أنت ضحاياك ساخرا
وتشرب من خمر الحزانى وتسكر

وإن تعط سعـدا فالشقاء لبـابه
وإن تغرس الأفراح فالحزن تثمر

بأيديك ضـاعت كل نفس نقيـة
لديك أمامهـــا زجاج مكسر

خلاياك من ذوب التناقض كونت
وأنت على رغم الثبات تغـــير

فتزهر يوما فى القلوب وفجـأة
إذا سرها الإزهار ألقـاك تغفر

تيسر حينـا فى الأمور فننتشى
ولـكن مـع التيسير ينمو التعسر

كأنا أمانينـا وأطيـاف عمرنا
أســير وفى صخر الردى تتكسر

حتى منك تنجو فالقلوب سجينة
ومنك جلاد بها يتندر

إذا كان في الموت إنطلاق فرحبا
به من حياة ليس فيها تحرر

هو حكمها القيد الذى صب ناره
على كل قلب في الحقيقة يبحر

٨ أبريل ١٩٧١ م

إيقاعات غير منتظمة

على باب الوجدان

القلب للسر يا حواء قد صانه
وأنت لم تستطيعى اليوم كتمانه
لا تحسبى الشعر فى عينيك أغنية
توحى إلى الشاعر الهيمان ألحانه
أو تحسبيه على نهديك لؤلؤة
تزيح عن قلبه الولهان أشجانه
أو تحسبيه على خديك فاكهة
تدوب فى فمه تنسيه أحزانه
أو تحسبيه على كفيك جوهرة
فؤاده من ضياها نال تحنانه
أو تحسبيه عناقيداً منظمة
تهدى إليك وينسى الشعر أكوانه
وإنما الشعر آفاق مغلفة
بالصدق والصدق فى أرجائها زانه

نطل منها على المجهول مختبئاً
في حانة الغيب يسقى الكل بتسانه
نطير فيها إلى « اللاوعى » يرشدنا
وحى الشعور وما نستطيع كتمانه
هناك فى جزر الأحلام مهبطنا
حيث الرؤى بثياب الطهر هيمانه
والظل .. والماء .. والأشجار خاشعة
للحب .. والحب يهدى الكل تيجانه
والليل ، والصمت والأحلام ساجدة
حيث الصفاء غدا للكل سلطانه
والقلب والنفس فى نور الهوى سبحا
وأفرغ الكل بعد السبح أحزانه
والروح فى الأفق المسحور سابحة
غنت نشيد الخلود العذب فينانه
والسحر والناى والأضواء فى دمنا
تحيى الليالى ويغدو العمر ريحانه
والسر يسكب فى أرواحنا عطراً
والخلد من قبل فى أعماقه صانه

لشاطىء النور قد سارت مواكبنا
حيث المباهج والأحــلام ريانه
عرائس الجن فى أنحائه انتشرت
تمرج فى لجة الأسرار عريانه
السور ليس مدوداً فيه محكمة
حتى وإن ذهباً كانت فسجانه
هناك حيث جواد النفس منطلق
بلا حدود وصار الكون بستانه
هناك حيث عبير النور أردية
تختال فى عطرها الأرواح مزدانه
الورد .... والفل . والأزهار فى يدنا
قيثارة رتلت للقلب ألحانه
وأعرف الريح « سيمفونية » رقصت
فى سحرها قيم الإنسان هيمانه
ومارد الشر فى حضن الردى رقدت
أنفاسه وهى للطغيان صديانه
والخوف أشباحه عنا قد ابتعدت
وشيد الأمن فى الأعماق سلطانه

عقارب الكون عن دوراتها وقفت
ليدفن الزمن المحدود عنوانه
لت الأشياء وامتزجت
فالصبح كالليل كالأسحار سهرانه
وفى الفراغ تلاشت كل فاصلة
وفى الجحيم رمى التوقيت شيطانه
فالثلج فى الصيف لم يفقد تماسكه
وفى الشتاء زهور الروض ريانه
وفى الخريف رياح الأفق عاطرة
وفى الربيع ثمار الحقل وسنانه
ووحدة الكون من أغلالها انطلقت
وحطمت قمقم التحديد جذلانه
والكل عشق إلستانية حضنت
أعماقها النور ... كانت قبل عميانه
والكل ينسخ من شريانه قلما
يخط وسط سجل الخلد إحسانه
والكل أفق يدوى كلما انطلقت
منه التسابيح والألحان : سبحانه

فذلك العالم السحرى عالمنا
القلب شاد من الإحساس بنيانه

....

القلب السر ياحواء قد صانه
وأنت لم تستطيعى اليوم كتمانه
فأطفئ جذوة الإغراء وانطلق
فى هدأة الصمت ياحواء ريحانه
فليس قلبى كقلب الناس مملكة
محدودة : وعليها أنت سلطانه
وليس عمرى كعمر الناس مرحلة
تمر ثم يعد الموت أكفانه
فالقلب مثل فضاء الكون متسع
بلا فراغ وصار الشعر جدرانه
والعمر فى الحس ... لا فيما تحطمه
منا السنون وتلقى الكل فى ألحانه

... ...

فى عالم الذرة المجنون قد صهرت
أنفاسنا فعبدنا فيه شيطانه

وعالم النور فى درب الدجى احتضرت
أنفاسه وأمات الليل ألحانه

وهالة الحق تحت الباطل اندثرت
والخير أفنى الردى المحموم أقرانه

شريعة الغاب عادت رمز عالمنا
للإثم والدم والإغواء صلبانه

وليس يفنى ... كمثل الظلم من ظلموا
وليس يبقى كمثل العدل أعوانه

فكيف ترقظ ياحواء عاطفتى
قيثارة الحب وهى اليوم وسنانه

والناى أخرســه الحزن الذى نسجت
أشباحه من عناء القلب أكفانه

وفى فى البكر أنقاض الأغنية | نامت على شفتى اليوم أسيانه
ويوم تكشف ياحسناء عالمنا | سيوقظ الشاعر البحار وجدانه
وتحض السحر عينيك مهجته | وتصبح الروح بعد اليبس فينانه
هناك يلقى بدرب الخلد قبلته | ومن عباب الهوى يستاق أوزانه

١٩٧١/٧/٢٥م

ثلاث أغنيات للشراع

— ١ —

يا شراع الرجاء رفقا بنفسي
إنها الآن تهب طوفان يأس
ثورة الموج ما خشيت ولكن
كل ما أخشى أن تبدد شمسي
ورياح المغيب تطفي شموعي
وضجيج الغروب يقتل همسي
وسموم الظلام تردي صباحي
وأفاعي الشكوك تقتل حسي
وتلال الغيوم تحجب أفقي
وليالي الأسى تبدد أنسي
ورؤى خاطري تصير سرابا
والأماني الحسان تلقى برمس

ولهيب العـذاب يحرق قلبي
ويوارى جـال يومى وأمسى
والمزامـير والشموع وباقا
ت زهورى وكل إغراء كأسى
كل ما أخشى أن أراها رمادا
وظلاما يطبل من ليل يأسى
عنـدما يصبح الصباح غروبا
هل سيمحو الغروب طول التأسى .. ؟؟

— ٢ —

يا شراع الرجـاء لست أخاف الـ
... موت لكن أخاف موت شعوري
والأعاصير لست أخشى قواها
كل ما أخشى أن تموت زهوري
لست أرجو الأمان فى الشط لكن
أتمنى أن لا تجف بحـوري
فليثر موجك العنيف ويعصف
ليس يمحو من الحياة سطوري

رغم انى اهتززت مثلك لكن

أن تمس الرياح سحر عبيرى

أنا كالبحر يا شراعى عميق ومليء بألف ألف غرور

وتلاقب الحياة فى داخل الصدر انطلاقا يذيب ثلج الشعور

وبأعماق خاطرى ألف كنز

سخرت من كنوز كل البحور

إن مرآتى الصغيرة نفسى

أبصرت بؤرة الوجود الكبير

... ...

أيها البحر إن تحدثك نفسى

بحديث النفوس أشهى سمير

إن يكن فى رياحك الموج كبر

وأنا نفس كبرياء الدهور

إن يكن غالب الرياح قويا

فبأفقى تطير كل النسور

إن تكن مزقت نسيج شراعى

لم تمزق نسيج قلبى البصير

إن يكن أفقك الخضيب فسيحا

فبذاتى تموج كل العصور

لك مهما اتسعت سور ولكن

دوحة النفس ما لها أى سور

أنت مهما انطلقت تبدو سجينا

وأنا السيف إن يعوقوا مرورى

فأنا العقل والزمان وحادى

الركب فى موكب الحياة الجسور

— ٣ —

يا شراع الرجاء قلبى يغنى

إذ تهاديت وسط آفاق ظنى

لست أشدو لرؤية الشط لكن

للصمود الفتى أسكب لحنى

ربما لم أصل ولكن عزائى

أن إصرارى فوق ضعف التمنى

ربما يغرق السفين ولكن
لم يزل مجدا فى بكنى يغنيه

إن تكن حطمت مجاديفى الريح
فإنى عبرت إعصار وهنى

هذه أيها الشراع حياتى
ثورة وانطلاقة وتأنى

وإباء ... وصرخة ... ووثوب
وفداء ... وعزة ... وتفنى

جزر كلما خطرت عليها
فبدت هالة بأغوار عينى

إنها رحلة الحياة صعاب
وشروذ ... وليل هم وحزن

إنها خمس بعد عشرين غابت
وقطار الكفاح ما غاب عنى

إن تكن أدمت الصخور كيانى
فرآى الحياة قد حررتنى

لم أكن فى الحياة ظلا ولكن
كنت نبض الحياة فى أى ركن
فى ما فى الحياة من ألف عيب
وصواب ... وحيرة ... وتمن
طيلة العمر فى ارتحال وحل
زادى الناى والأغانى ودنى
أسكر الروح بالرحيق إذا ما
دب فيها القنوط حتى تغنى
لم أصل بعد للشواطىء رغم
الرحلة الكبرى فى عباب التمنى

... ...

يا شراع الرجاء قلبى يغنى
إذ تهاديت وسط آفاق ظنى
لم يزل موجك العنيف يدوى
غاضباً ... مقبلا .. ليثأر منى

إنى رغم عمق جرح الليالى
سأصد الرياح عن باب أمنى
وأصوغ الحياة أحلى نشيد
وأميت الأسى بأروع لحن
قد بدا الشاطىء الصغير ولكن
شاطىء العمر غاب عنك وعنى!!!

١٠/ ٩/ ١٩٧٢ م

حبيبنا الوحيد

أتبتر الرحلة يا أبي بسيف هذه النهاية ؟
وهل هي النهاية التي تعود خيلها لساحة البداية ؟
وفي منارة القلوب ينبت الصبار يا أبي العزيز
والملح نبضها وزادها من الأشجان
والحزن قد عودنا لكثرة الأحزان
أن نشرب المر ولا نبوح !!!
لحزننا كليلنا طويل
وقلبنا كخطونا نحيل
وزادنا من الشعور لا يقاوم الرحيل
وكان من قبل فسيحا كالوجود
منطلقا ولا تحده حدود
وكنت يا أبي العزيز مرفأ الوصول
بين يديك من عوادي الدهر كنا نختبيء
لقلبك الندي كنا نلتجيء
وأنت تزرع الأمل

فى نبضنا الوجل

... ...

كنت إشارة المرور
لساحة الآمال يا حبيبنا الوحيد
وأنت فى عيوننا فى كل لحظة جديد
تود أن يتوه عن زمانك الأجل
حتى اصل
لما نريد
وأنت أنت لم تزل
رغم قضائك الأجل
حبيبنا الوحيد
حبيبنا الوحيد
حبيبنا الوحيد

١٩٧١/٤/٧

المسافر فى سنبلات الزمن

الرؤية والأداة

« حسين على محمد »

حينما نقرأ قصيدة « المسافر فى سنبلات الزمن » نحس أننا أمام شاعر جسور يمتلك الرؤية ويمتلك الأداة . لديه مايقوله فى سهولة ويسر ، وفنية عالية .

وتمضى فى قراءة الديوان فترى أن ما أحسسته كان صادقا ، ولا يخامرك الشك فى أن هذا الشاعر كانت تنتظره الأرض طويلا ليعبر عن طموحاتها وإحباطاتها . وأشواقها لغد أكثر فصاحة وأمنا وسكينة . بعد أن امتلأت بالأبناء الجوف الذين غنوا للجلادين ، ومشوا فى الدروب الغائمة يبشرون بالظلام قائلين : إن الداء يسرى فى نخاع الشجرة وكان يراودهم الحلم — المأساة حتى تسقط الشجرة ؟ فيلقون بها إلى النار ، ويسكبون الشعر وهم يصطلون بنيران أمهم الخضراء !!!

... ...

وكانت الأرض للمسلمة تولى وجهها شطر ربها حالمة !

الحلم صعب التحقيق . والمعادلة مستحيلة ، الحلم الكونى الإسلامى .

شاعر يلتصق بالأرض يعبر عن همومها ، وينطق من حزنها وحزنه ومعاناتها ومعاناته بحكمتها ، فى نصاعة عقيدة وإشراقة بيان .

شاعر يعى ويتمثل أن الكلمة لم تخلق عبثا . لقد كانت أول كلمة نزلت على محمد عليه الصلاة والسلام « إقرأ باسم ربك الذى خلق »

وأقسم الله سبحانه وتعالى بالقلم « ن . والقلم وما يسطرون » سيسأل الله عن الكلمة، والشعراء غير واعين يدحرجون الكلمات على الطرق فتختلط الحروف بالدماء وتغيم الرؤية .

فأين الشاعر الذى نبحث عنه ؟؟

... .

هذا شاعر أنبتته الأرض ، فعشقها ، ونلمح هذا العشق

الصادق فى مواضع كثيرة من هذه المجموعة الشعرية .

صوتك ينشلنى من قاع الجب
يحملنى فوق جواد الريح
يسقينى صوت الحق السارى فوق جناح الرؤيا
يرفض أن تتشرنق فى أفراح االقيا ...
... أصداء الكذب السائل من ثوبى المصبوغ
... بزيف دماء الذئب

وحينما يغنى الأرض عشقه ، لا يكون مجرد صوت بعيد غائم فى الخارج المدان بل من الداخل . حيث الامتزاج والانصهار حيث يصهر الاثنان الشاعر والوطن شيئا واحدا .

أنادى عليك
وأنت بقلبى انطلاق الأمانى
وأنت بأفقى ظل الزمان
وأنت انتفاضة روحى
وذاتى شمس تغرد فى شاطئيك

إن النداء ليس من الخارج ، إنه معاناة المعدن الصلب الذى يعانى ويقاسى ولا ينهار ، فيخرج من كل غارة أصلب عودا ،

فلا تقضى عليه الحرائق ولا تلقى به إلى جب الفناء عواصف الحقد ، وقيود الحصار ، ورصاص الخيانة ، لم يقتل الوطن أبداً بل يبقى صوته الداعى إلى الأمل والصمود تيارا يتسرب إلى القلب فيمده بالصمود رغم المثبطات.

وتلاشت كل الأصوات الغائمة من الساحة

لم يبق سوى صوتك فينشلنى من قاع الجب

يسقينى صوت الحق السارى فوق جناح الرؤيا

يجتاح سدود الغيب

يفتح كل خزائن هذا العالم بين يدى

يزرع ظلالك فى تربة قلبى

فتحلق كل الأكوان بجفنى

إن هذا الوطن هو الذى أعطى العالم خلاصه ، وفجر ينابيع الخير ، وهو الذي حمل السيف دفاعا عن القيم النبيلة ، ومن هنا بدأ التاريخ ، وبدأ العطاء المادى والمعنوى لكل أرض.

أنادى عليك

وأعرف أنى نهلت ضيائى من مقلتيك

وأعرف أنك ما هنت يوما

وما هان سيفك في راحتيك
وما صار موجك سما
فكل التواريخ شبت على ساعديك

أنادى عليك
وأعشق في خطوك الكبرياء
فكل السفائن تجرى إليك
وكل المنارات في ناظريك
وكل اشتياق المفازات التي جاث لديك
وكل الحدائق بنت يديك

لكن الجو يغيم أحيانا وكلمات الشاعر تصير أكثر حدة كالسكين الذى ينكأ الجراح فيجعلها تنزف بعد أن كنا نظن أنها قد اندملت .

يقول من قصيدته « نقوش على جدار الصمت »

وقد سئمنا الانتظار والوعود والصلاة في بيادر الحواة
ولم تزل وليدة خطاك
وكل ذرة تئن من توقف المسير .

وكل معول ينادى أيهذا الكف : أين قبضتك ؟
وكل روضة تنادى طالب الثمار أين سلتك ؟
وكل غلة تنادى حان موعد الحصاد أين ... أين منجلك ؟
وأنت ياحبيبتى
أميرة تغرق فى سباتها العميق
تحلم بالسكون فى ظلال كرمة النجاة
حصانها من الخشب
وسيفها من الحطب
ولا تريد غير أن يقال ياأميرة العرب
فارسك المملاق أحدث العجب !!!

سيكون الحكم متسرعاً إذا لم تنظر إلى تاريخ كتابة القصيدة وهو مطلع عام ١٩٧٣م ، حيث كانت مصر تعانى مخاضها الأليم وحيث كان مايسمى بشبح اللاسلم واللاحرب يخيم على المكان ، وسيناء محتلة ، ومثقفو هذا البلد المنكوب ، وعماله ، وفلاحوه ورجاله ونساؤه ، يبحثون عن الخلاص حائرين .

وهذه الأبيات السابقة تكشف عن الحيرة ، ومحاولة البحث عن طريق بينما الظلام يملأ الدروب .

... ...

نستطيع أن نلمح وراء تكوينات رؤية شاعرنا « صابر عبد الدايم » رؤية حضارية إسلامية؛ وهل كانت منابع الإسلام غير الحضارة الكونية ؟

حينما ظهر الشعر الحر بوصفه خطوة طبيعية فى تاريخ الشعر تلائم عصرنا فى سرعته ولهاثه ونزقه ، واحتدامه ، وثورته ، وصخبه اتجه شعراؤنا إلى التراث الأجنبى، وموروث الحضارات القديمة يستعيرونه ويتكئون عليه فى محاولة إعادة تشكيل العالم الشعرى الجديد الخاص بكل منهم .

فوقعوا من حيث لايدرون أسرى الأساطير الفرعونية والبابلية والآشورية والفينيقية ، واليونانية .

وحينما وجد المد الإسلامى طريقه - رأينا بعض شعرائنا منذ منتصف السبعينات يتجهون إلى التراث الإسلامى يستنطقونه ، ولكنهم سقطوا بين محاولة الاستنطاق العقلية، والتهويمات الغامضة ، واتجه بعضهم لرموز غير شائعة ، مما باعد بين تجاربهم والمتلقين .

... إن هذه الرؤية الحضارية فى شعر « صابر عبد الدايم » نلمحها تتشكل من خلال ثلاثة خيوط :

« الخيط الأول : المعجم القرآني ، في مثل قوله في قصيدة «الفزع الأكبر» :

والطور
وكتاب مسطور
في رق منشور
والبيت المعمور
والسقف المرفوع
والبحر المسجور
والشعب المقهور
والقدس المشطور
والأقصى المهجور
قد جاء الأمر وفار التنور
والعالم يغرق في الديجور

وقوله :

فسيارات العصر انشقت
والأرض أراها قد مدت
وألقت مافيها وتخلت »

والأنجم فى قلب الإنسان انكدرت
وجبال الأحلام تسير ، كالعهن المنفوش ،
والناس من الفزع الأكبر مثل فراش مبثوث ،
وقوله :
تركب فلك الإيمان وتعبر طوفان الديجور
مجراها باسم الله ومرساها
تصغى للصوت القادم من لدن الملإ الأعلى
، فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك
إلا من سبق عليه القول ،
وفى قصيدة ، إيقاع الزمن القادم ،
ورأيت نداوة صوتك فى بحة صوت الضعفاء
، تالله لقد آثرك الله علينا ،
(تالله لقد آثرك الله علينا)
وفى قصيدة (المنفى داخل الوطن) التى كتبها الشاعر عام ١٩٧٠
يقول :
(والعصر)
(إن الإنسان لفى خسر)

إلا من وصى بالحق وحارب من أجلك يا مصر

وفى قصيدة «العناق فى موسم المودة»

« وسيناء تنبت بالدمن ، يخطر فيها الجمال

الخيط الثانى :

«التراث الإسلامى بمواقفه وشخصياته وأماكنه»

فى هذه المجموعة الشعرية ستلحظ مواقف : الهجرة أسماء فى بيت الزوجية نهاية عبد الله بن الزبير — الفتح الإســلامى لبلاد الهند والسند — الصراع بين أبناء البيت الأموى على الحكم — مقتل محمد بن القاسم الثقفى — الطوفان — عبور موسى — التيه — والحوار بين موسى والخضر — يوسف وملك مصر — يوسف وإخوته — الفزع الأكبر .

وستلتقى بهذه الشخصيات : محمد ، موسى عبد الله بن الزبير ، أبو بكر ، يوسف ، الحجاج ، أسماء — الشيطان ، زليخا الخ

وستشهد هذه الأماكن وقد امتزجت بالشخوص والمواقف والوقائع ، غار ثور ، مكة ، المدينة ، الطائف ، الديبل ، الملتان جبل الطور ، البيت المعمور ، القدس ، الجودى الوادى المقدس طوى .

الخيط الثالث: الصور والتشكيلات النابعـــة من الوجدان المسلم الحضارى .

عرش الله — فلك الإيمان — طوفان الديجور — كنز العارفين — أصلاب التكاثر

ملقياً فى قبضة النيران ذاتى

فإذا النيران فى ذاتى اشتهاء ووضاءه

عرس السماوات ، فاتحاً كل المدائن ،فجر النبوءات — اللؤلؤ المكنون — « من قصيدة المسافر فى سنبلات الزمن »

جب المأساة — الجب ديون وقناه — صوتك ينشلنى من قاع الجب .

صوت الحق — جناح الرؤيا — سر البقرات السبع — ووحوش البيد تخطف منسأته — الحق اقتحم الساحة كبر واستغفر ، فى شريانى كلمات المصحف تهدر نهراً من نار وضياء

أجرت من فيض القرآن بصحراء رؤاهم

أنهاراً وسحائب رضوان وأمان

والأغصان تفتح أعينها

تنشر أجنحة الخير وتغرس بسمتها فى الآفاق

أما مصادر الشاعر التى يستمد منها صوره ورموزه ، فهو يستمدها من التراث القـــديم والمعاصر والأساطير التى تمتزج باللاشعور ومن الطبيعة

أما أكثر الصور شيوعاً فهى التى يستمدها من القـــرآن الكريم ؛ كما وضحنا فى الفقرة السابقة ، وقصص النضال والبطولة فى تراثنا من خلال الشخصيات المتميزة الواردة فى القرآن الكريم كموسى فى « استشراقات من سفر التكوين والنبوءة »

ويوسف فى « إيقاع الزمن القادم »

والشخصيات التى لعبت دوراً خطيراً فى تاريخنا الإسلامى كالبطل محمد بن القاسم الثقفى « فاتح الهند والسند » فى « مشاهد من ملحمة العشق » وذات النطاقين فى « أسماء الثور والعطاء والتحدى »

والتراث الشعرى القديم أحد المصادر التراثية الخافتة التى تلمحها فى هذا الديوان من خلال أبيات تسربت فى قصيدة « مشاهد من ملحمة العشق والبطولة » تضىء الحدث الدرامى وتساهم فى إبرازه ؛ والكشف عن جوانبه، فهو يصور الصراع الدائر على ساحـــة الواقع المتناقض ، ويتساءل فى شاعرية ثائرة .

من أين يمر الموتى الاحياء ؟ ويجيبه صوت التاريخ الصادق وابوءة الواقع الآمل

من هذا المنعطف المحموم المتمرد

« تحل دماء المسلمين لديهم » ويحرم طلع النخلة المتهدل !!!

وهذا البيت من قصيدة الكميت بن زيد الأسدى التى مطلعها

ألا هـــل عم فى رأيه متأمـــل

وهل مدبر بعد الإساءة مقبل ؟

والمراءون الذين ينصبون شباك زيفهم وافاقهم على كل النوافذ ويقفـــون أمام كل باب وعلى كل مائدة يذمون السابقين الذين مدحوهم ويمدحون الحاضرين الذين لم يعرفوهم !!!

يصور الشاعر هؤلاء موتى برغم أنهم أحياء ويطلون على العالم من شرفة النفاق والزيف ، وهذه الشرفة قائمة فى بيت التاريخ وممتدة فى الأزمنة الآسنة المتخلفة

والأحياء الموتى من شرفة هذا البيت يطلون

وبدا الصباح كأن غرته

وجه الخليفة حين يمتدح !!!

أما التراث المعاصر فيستمد الشاعر منه بعض الجوانب التى تخدم رؤيته دون جناية على القصيدة

ففى قصيدته المبكرة « من فوق حبل المشنقة » المكتوبة عام ١٩٧٠ يقول :

فنهضت ثم خلعت سور السوق ثم صرخت لا ... لا أنت حرة .

ويرغمهم حتى إذا جاءوا بفيل أدخلوه ثقب إبرة
وعلى الثرى وقفوا وكان ذراعهم عند المجره
أو أنهم حبسوا ملايين الجمال بقلب صره .
لن يسلبو من معصميك سوار عزك أى مره

فهذه الأبيات تتكىء على جزء من شعر « توفيق زياد المناضل من قصيدة « أهون ألف مرة » التى يقول فيها

أهون ألف مرة
أن تدخلوا الفيل بثقب إبرة
وأن تصيدوا السمك المشوى فى المجرة
أهون ألف مرة
من أن تميتوا باضطهادكم وميض فكرة

وتحرفونا عن طريقنا الذى اخترناه قيد شعره(١)

وقد يلجأ الشاعر د. صابر عبد الدايم إلى التضمين فى محاولته لاسترفاد التراث المعاصر محافظا على النص ، واضعاً إياه بين قوسين فى قصيدة « المنفى داخل الوطن » ...... يقول

عنوان كتابى الأول « وقفة عابدين »

حيث الصنم الواقف والكلمات رصاص يقتل أنفاسه

« لم يخلقنا الله عقارا »

« لن نستعبد بعد اليوم »

والسطران الأخيران من القول المأثور لأحمد عرابى فى وقفة عابدين

وفى قصيدة (الفزع الأكبر) يلجأ شاعرنا إلى بيتين من شعر حافظ إبراهيم

إن حظى كدقيق فوق شوك بعثروه
ثم قالوا لحفاة يوم ريح اجمعوه

---

(١) (ادفنوا أمواتكم وانهضوا) مجلة الهلال عدد أكتوبر ١٩٦٩ م ص ١٤٦ — ١٤٧

ومن الملاحظ على شاعرنا فى استرفاده اترائه أنك لا تحس بغربة النص التراثى ؛ بل تحس به جزءا من صميم تجربة الشاعر الشعرية

أما الأساطير التى تمتزج باللاشعور ، فإنك لا تلمحها تيارا فى الديوان . ولكنها صور متناثرة فى القصائد ، تساهم فى تكشيفها وإضاءتها .

تأمل هذه الصور : أغرقت كل الجبال الشم خيلى

. رفرفت أجنحة الخيل على وجهى

. طائرا بالحوت من جب الأمانى

. ناصبا عرس السمارات بقاع البحر فى خضم المواسم

. بانيا كل الحضارات التى فوق ضلوعى شيدت كبرى الملاحم

« المسافر فى سنبلات الزمن »

موسى يقطف من عين الشمس الأسرار

تنفلت فى كفيه الأقمار

وعصاه تشق البحر وتجهل لغة الإبحار

موسى مسجون فى قلب فضاء

الريح تحاصره ، وتحاوره الأنواء

خمدت فى عينيه النار وجف الإبداع

فتوهج زهرة نار

« إشراقات من سفر التكوين والنبوءة »

أما الصور التى يستمدها من الطبيعة فيمنحها معنى جديداً ، وتكويناً جديداً لتكون حقا «كائنات صابر عبد الدايم» المنبثقة عن جدل تجربة القصيدة

وسوف نكتفى بثلاثة عشر مفردا من مفردات الطبيعة وردت فى قصيدة «المسافر فى سنبلات الزمن» مع مصاحباتها اللغوية ويوضحها الجدول التالى :

مفردات الطبيعة	المصاحبات اللغوية فى رؤية الشاعر
١ — ظلام	الرحم الكونى
٢ — آفاق	تظلل
٣ — الدماء	تروى
٤ — الجبال	تغرق
٥ — المعبر	ذات الشاعر أو الصوت المتحدث فى القصيدة
٦ — القبر	تناجى الذات المتحدثة
٧ — المفازات	
٨ — الخيل	تئد غرور المعتدين
٩ — الزمن	الناخر أصلاب التكاثر
١٠ — الجذور	السالبات الأرض أحلام البراءة
١١ — الصخر	راحلا فيه
١٢ — النيران	قبضة تلتقى فيها الذات
١٣ — السماوات	عرس
١٣ . الحضارات	تبنى فوق الضلوع

ومفردات الطبيعة فى شعر صابر عبد الدايم تأخذ دلالات جديدة تساهم في تشكيل رؤية الشاعر [illegible] صحت في النموذج السابق وهي كلها في قصيدة واحدة «الجدول المذكور» ونستطيع أن نعثر على هذا التشكيل اللغوى فى باقى القصائد

والشاعر يسيطر على أدواته ، وتحس فى قصائده بالتلقائية والبساطة وهما سمة كل فن عظيم يريد أن يضيف شيئا له قيمته ودلالته . وبعـــد :

فنرجو أن تكون هذه المجموعة الشعرية على طريق الشعر الحضارى الذى يخطو خطاه نحو العالمية ، بإبراز خصائص هذه الأمة المسلمة فى التصور والمعاناة ، والأمل فى غد إسلامى أكثر نضارة .

إن المثبطات التى تكتنف مسيرة الشعر الحضارى كثيرة .

ولكن شعراً كشعر «صابر عبد الدايم» قادر على أن يحفر مجراه ، ويحدد مساره

والله يوفق خطاه ويحقق آماله .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

رب نعم ١٠ من أكتوبر ١٩٨٢ حسين على محمد

فهرس القصائد

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٣/٢٥٤٠
مطبعة الأمانة ٣ جزيرة بدران / القاهرة

